المشرق

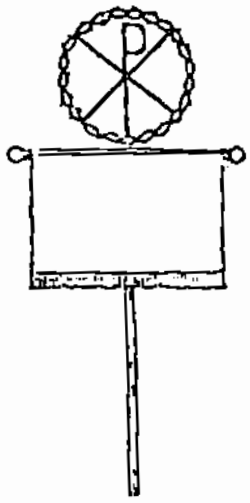

رأيــة قــسطنطين

قد كنتُ ميتًا وها انا حيّ (رؤيا ١: ١٨)

لأحد الكنيسة الافاضل

اللواء

هذا اللوا علَمُ المليكِ الباري نعمَ الشعارُ غدا هدَى الأبرارِ
انَّ الصليبَ بعارهِ وجلالهِ لغزٌ عجيبٌ غامضُ الاسرارِ
عود الفدا قد صار رمزًا للعلا من بعدِ ان قد كانَ رَمزَ العارِ
موت الاله عليه خيرُ ضحيَّةٍ ترضى السماء بها عن الأوزارِ
غرسٌ كريمُ الاصلِ جذعٌ ماجدٌ قد ضرَّجتهُ دما العلي الجبَّارِ

أسعد به غرساً زها بفروعهِ غرسَ الهنا المُتهدِّلِ الأثمارِ
اياهُ ربُّ العالمين قد اصطفى وعليهِ سُتِّرَ للفدا ابنُ الباري
يا ايها الغرسُ الجليلُ مفاخراً تُزهتَ عن ندٍّ مدى الأعصارِ
فلأنت يا غرساً بهيّاً قبلةٌ في ارضنا بل منبعُ الانوارِ
ولأنت ما لا يدّنيهِ مقاربٌ فيالكونِ خصباً دائمَ التكرارِ
يا سامقاً بالمجدِ من احشا الثرى نحوَ الذُّرى الأبديّةِ الادهارِ
ما في الخمائلِ مثلُ عودكَ مشمراً يا دوحةَ الابرارِ والأطهارِ
قد فاح منك شذا القداسة عنبراً وغدا جناكَ فضائل الاخيارِ
حييت يا أبهى صليبٍ في الورى يا غرسَ مجدٍ أوحداً بفخارِ
يا اثمنَ الميدانِ غيرَ مُنافسٍ بعلاكَ حارت علية الافكارِ
طلعَ الصليبُ مظفراً فترنموا بثنا المليك الظافر القهّارِ
تمَّ الخلاصُ وتلك آثار الضحيَّةِ م والفدا أكرمْ بتي الآثارِ
موسومة بدماك يا فادي الورَى يا ابن الاله وسيّدَ الاحبارِ
سوطٌ واكليلٌ وحربةُ طاعنٍ قاسٍ وقصبةُ ذلّةٍ وشنارِ
أكرمْ بها شاراتِ عزٍّ شابها بدمٍ وماء من فؤادهِ جاري

الدفين

ثمَّ ظافراً حطّمَ قيودَ عداكا يا ابنَ الاله وعزَّ آل رجاكا
وَذرِ الضريحَ ممجّداً وظلامَهُ حيث الملاك مراقبٌ يرعاكا
ثمَّ فالحقيقةُ تقتضيه لانه وعدٌ ولستَ بمُخلفٍ حاشاكا
وعدُ الفداء لآدمٍ. وعدُ الرجا لبنيك . وعدٌ للسما . فكفاكا
ثمَّ واخزِ مَن جحدوك واخذلْ عُجبَ مَنْ قد عذّبوكَ وفاخروا برَداكا
يا ربُّ إنَّ المجدليةَ في بكا وشجاً فعزَّ فؤادَها برُواكا
جفّفْ سيولَ دموعها اذ سُهّدتْ ترعى النجومَ هذيذُها ذكراكا
حتى إذا انبلجَ الصباحُ مبشّراً تبدو فينقي غمَّها مرآكا
يا ربُّ ثمَّ : ما الرمسُ وهو مذلّةٌ مَثوى إلهٍ فالتما مَثواكا

قمْ : ليس أبناء الثرى بهوانهم أكفاء مجدك في سماء بهاكا
يا ساطعَ الأنوار . في قُبب العلا مثواك . منهُ تهتدي بضياكا

الحي

عقبَ المهانةِ عزّةٌ وفخارُ لمّا أذلّ ضريحهُ الجبّارُ
فيسوعُ قد قهر الردى ولقد بدا رغم اللئام وبردُه الأنوارُ
شامت بهاءُ المجدليةِ فانثنت قدميهِ تلثمُ والفؤاد نيارُ
ومضت تبشّرُ بالقيامةِ قومها وتشيدُ : قد عقب الشقاء يسارُ
فاشتدّ ذهلُ الرسل ثم تساءلوا ربياً : أحقٌ ذاك ام أخبارُ
حتى بدا بعدَ القيامةِ بينهم حيّا فزال الريبُ والاكدارُ
أسمعتُمُ صوتَ المعلّمِ منبئا ومشدّدًا ؟ فيهِ يُقالُ عِثارُ
صوتٌ إلهيٌّ فيا رسلَ الهدى اصغوا : فإنّ به النفوسَ تُمارُ
من قبل أن يرقى إلها ظافرًا نحو السما مولاكمُ القهارُ

الظافر

في قبّةِ الملك حين الفجرُ يبتسمُ للارض . حين جنودُ الليل تنهزمُ
اذ يُشرقُ الكوكبُ الوهّاجُ ساطعةً منه قباب السما كالشُهب تضطرمُ
رأدَ الضحى من نهار كلّهُ غُرَرٌ في زُرقةِ الجوّ حيثُ النورُ والنَسَمُ
علا المسيحُ بمجدٍ باذخٍ وبهاً في الرّقع منتصراً جلبابُهُ العظمُ
سما صعودًا فواراه السحابُ وقد أنهى الفداء فساخت بالرجا القدَمُ
قد جاري حيّاً بجوف الارض مدفنهُ فصار دوماً اليهِ تحتمي الأُمم
كذاك نُبعثُ أحيا بالمسيح وقد كنا رميماً تغشّي رمسنا الظلَمُ
يا سعدَ نفسٍ تراه بعد أن تبعت آثارَهُ وهداها الحبُّ والهِمَمُ
تلقى بهِ ببرودِ المجد متشحاً له جنودُ السما ذاتِ البها حَشَمُ
مُباركاً بانعطافٍ مَن فداهمُ من شرّ الهلاك بحبّ فيضهُ النِعَمُ
لهُ فعلُ ندّى يولي الرجا قنطاً من آيهِ يترقّى العُربُ العجَمُ

عزّ انتصارك ابنَ الله يصحبه حسنُ الرجا وجمالُ الفوزِ والعِظَمُ
أذكى بنا للتُّقى ناراً مقدسةً ينفي بها الشكَّ والجُبنَ الذي يَصِمُ
فللمسيح فخارٌ لا شبيهَ له نال انتصاراً به نحيا ونعتصمُ
نصراً جليلاً به يبدو لمعتقد انَّ الردى لن يلي وثباتِهِ العدمُ
لن يقتلَ الموتُ في الانسانِ خالدَهُ مبدا الحيوة الذي لم يُوهِهِ السقَمُ
روحا سماوية تسمو منزهةً بنطقها فهي لا جسمٌ ولا وَهَمُ
أما بها عَرفَ الانسانُ هُديتهُ في الخير والشر وهيَ النورُ والعلمُ
له بها كوكبٌ هادٍ تلألأَ من جبينهِ حيثُ نورُ الفكرِ مرتسمُ
يا ايها العقل حرزَ النفس يا قبساً من روح يسوعَ يا نوراً به الحكَمُ
كن في حمى الحكمة الغرّاء معتصماً فانها الفوز اذ تحيا بها الرِمَمُ

الجمهورية الفرنسوية الثالثة ورؤساؤها

بقلم الكاتب الاديب الشيخ سليم الدحداح

كان اليوم الثامن عشر من شباط بداءة مدّة رئاسة المسيو بول ديشانل على الجمهورية الفرنسوية وقد أقفلت دوائر الحكومة في المنطقة الغربية تحيّةً للمختار وترحيباً به تبعاً لما يجري في سائر الانحاء التي يظلّلها العلم الفرنسوي المحبوب . وقد رأيت بهذه المناسبة التحاف القراء الكرام بمقالة عن حكومة الجمهورية الفرنسوية الحالية والرؤساء الذين تعاقبوا على منصّة الرئاسة

كلٌّ يعلم ان حكومة فرنسة كانت في السابق من النوع الملكي اي خاضعة للملك وذلك منذ بداءة تقسيم الدولة الرومانية في النصف الاول من الجيل الخامس حتى اواخر الجيل الثامن عشر . وأما الجأت الازمة المالية الملك لويس السادس عشر الى جمع وكلاء طبقات اهالي فرنسا الثلاث في مدينة ڤرسايل في ٥ ايار ١٧٨٩ للمداولة معهم فيما يجب اجراؤه لتحسين مالية الدولة اغتنم هؤلاء الوكلاء فرصة ضعف رأي الملك وتردده المستديم وقلق افكار الرأي العام فتجاوزوا المأمورية التي انتُدبوا اليها

وتطرّفوا من امر الى غيره حتى توصلوا اخيرًا الى المناداة في ٢١ ايلول ١٧٩٢ بالغاء الهيئة الملكيّة واقامة الجمهوريّة الفرنسويّة فخلعوا لويس السادس عشر وسجنوه في قلعة التامپل مع اسرته ولم يخرجوهم منها الّا للموت. وحكاية ذلك طويلة معروفة لا لزوم لسرد حوادثها

ودامت الحكومة الجمهورية الاولى منذ ٢١ ايلول ١٧٩٢ الى ١٨ ايار ١٨٠٤ وتغيّرت اشكالها ثلاث مرّات فقامت اوّلًا حكومة اتّفاق الأمة (Convention Nationale) وهي التي توّلت قتل الملك ومحاربة اوربة وقمع الحركات الملكية في الداخل ولم يكن فيها رئيس للجمهورية بل كان على رئاسة الدولة لجنة اسمها لجنة « الخلاص العمومي » . ووليها في التدبير حكومة مجلس الادارة (le Directoire) وكانت رئاستها مؤلفة من خمسة اشخاص . قلبها الجنرال بونپارت في ١٨ برومير اي ٩ تشرين الثاني ١٧٩٩ وجعلت رئاسة الدولة لثلاثة اشخاص يلقّب كل منهم بلقب قنصل وفي الحقيقة كانت كل السلطة في يد القنصل الاول وهو الجنرال المشار اليه الذي لم يزل نجمه طالعًا حتى نودي به امبراطورًا على فرنسة في ١٨ ايار ١٨٠٤ وظلّت ادارة الضرب تطبيعًا للرأي العام تذكر على قطع النقود حتى نهاية ١٨٠٤ في احد الوجهين اسم : الجمهورية الفرنسوية — وفي الآخر اسم ناپوليون امبراطور — فيكون عهد الجمهورية الاولى ١٣ سنة غير كاملة

ولمّا خلع الباريسيون الملك لويس فيليب في اواخر شباط ١٨٤٨ نادوا بالجمهورية الفرنسوية الثانية فظلّت موجودة حتّى ٢ كانون الاول ١٨٥٢ : تولّى الامر فيها اولًا لجنة موقتة دُعيت باسم اللجنة الاجرائية قوامها خمسة اشخاص كان في عدادهم الشاعر لامرتين الشهير . ثم لمّا ظهرت فتنة حزيران ١٨٤٨ أُعطيت السلطة المطلقة بصورة خارقة العادة الى الجنرال كاڤنياك واخيرًا أُنتخب البرنس لويس بونپارت رئيساً للجمهورية فلبث في الرئاسة مدةً حتى تمكّن في حادث ٢ كانون الاول ١٨٥١ من الغاء المجلس المّي المعاكس له بعد ان سجن ونفى مَنْ خاصتهُ من اعضائه وبعد ذلك بسنة نودي به امبراطورًا باسم ناپوليون الثالث

فلمّا ضبط لأزمّة التدبير ابطل حكم الجمهوريّة الثانية كما الغى ناپوليون الاوّل الجمهوريّة الاولى بعد ان تولّى كلاهما الرئاسة فيهما . على انّ الجمهوريّة الاولى والثانية

قد قامتا على انقاض الدولة الملوكية اما الجمهورية الثالثة فانها قلبت عرش نابوليون الثالث على اثر انكساراته في الحرب السبعينية وتسليمه سيفه لملك بروسية في ٢ ايلول ١٨٧٠ في سيدان

الجمهورية الثالثة

لما بلغ الشعب الباريسي خبر تسليم الامبراطور وجيش مكمهون في سيدان ثار على الحكومة الامبراطورية بخلع صاحبها ونادى بالجمهورية ودعيت الحكومة «حكومة الدفاع الوطني» برئاسة الجنرال تروشو (Trochu) موكلين استشارة الامة في تعيين هيئة وقوانين الحكومة الى ما بعد انعقاد الصلح . ولما سأمت مدينة باريس في اواخر كانون الثاني سنة ١٨٧١ وشرعت البلاد بالاستعداد لانتخاب هيئة قانونية تقوم بتمثيل فرنسة وعقد الصلح مع العدو المنتصر انتخب المجلس الملي الموجود في بوردو الوزير والخطيب الشهير ادولف تيارس رئيساً للحكومة باسم «رئيس السلطة الاجرائية» بدون تعيين مدة لحكمه وهذا هو الذي اعتاد التاريخ ان يعتبره الرئيس الاول للجمهورية الفرنسوية الثالثة اي الحالية

١ ﴿ السيو تيارس ﴾ : كان هذا قد اشتهر بتوليه رئاسة الوزارة مرارًا في عهد الملك لويس فيليب وعُرف بخطته العدائية لانكلترة وقت اتفاق اوربة باغراء هذه الدولة على محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ واخراجه من سورية . وكان معروفاً في عالم التاريخ والآداب بالجرائد التي تولى تحريرها والخطب التي القاها وارتجلها في ندوة النواب والتواريخ التي الفها واهمها تاريخ الثورة الفرنسوية وتاريخ حكومة القنصلية والامبراطورية . وكان في مدة الجمهورية الثانية عضواً في المجلس الملي وعاكس فيه لويس بونبارت ولهذا كان في عداد ضحايا حادث ٢ كانون الاول سنة ١٨٥١ فنفاه نابوليون الثالث هو والجنرال لاموريسيار المنتصر على الامير عبد القادر والشاعر فيكتور هوغو والخطيب بيريه والمسيو اميل ديشانل والد الرئيس الجديد وغيرهم . وقع عليه الانتخاب وهو بسن الرابعة والسبعين وقد كان طاف عواصم اوربة مهيجاً رأي الدول ضد المانية ومبينا لكل منها الخطر عليها من انتصار هذه الدولة . فلم يفلح في حملها على اغاثة فرنسة

تولّى الاحكام مدة سنتين وثلاثة اشهر بكل همّة ونشاط ونجح في إعادة الثقة بدولة فرنسة فتوفّق الى تعجيل دفع اقساط الغرامة ونال تقصير مدة الاحتلال الالماني وانما اضطرّ اخيرًا للاستقالة لان المجلس الملّي كان مرجّحاً للشكل الملكي وكان ضجرَ من استبداد تيارس الذي اصبح يظن نفسه بان فرنسة لا يمكنها الاستغناء عنه

٢ ﴿ مكماهون ﴾ : لمّا استقال تيارس اجتمع المجلس الملّي وانتخب المارشال دي مكماهون رئيساً للحكومة لمدّة سبع سنوات : ولد مكماهون من اسرة نبيلة كاثوليكية من ارلندة أتى احد افرادها الى فرنسة بتبعية الملك المخلوع جيمس الثاني سنة ١٦٩٠ . وكان المركيز والد المارشال من كبار رجال الدولة في عهد شارل العاشر فاستقال هو وولده البكر من خدمة الدولة يوم خلع هذا الملك سنة ١٨٣٠

واما المارشال فكان ضابطاً صغيرًا فامره ابوه بالبقاء في خدمة الجيش فاشتهر في الجزائر ثم في سبستپول حيث استولى على ملاكوف الحصينة وفي معارك حرب ايطالية حيث انتصر في ماجنتا واخيرًا في حرب المانية وقد ابلى فيها بلاء حسناً لكنهُ لم يتوفّق فيها وتولّى اخيرًا قيادة جيش الحكومة لحاصر ثوّار الفوضى في باريس وفتحها بمدة وجيزة واعاد الامن الى نصابهِ . وكانت اميالهُ وعواطفهُ نحو الحكومة الفرديّة فكان احزاب فرع البوربون مؤملين بهِ بسبب اصلهِ ووالدهِ واحزاب فرع اورليان كانوا يعدّونهُ من ذويهم لخدمتهِ في عهد لويس فيليب ومثلهم اشياع نابوليون كانوا يؤكدون انه لا يريد سواهم . وفي بداءة عهده اصطلح آل اورليان مع الكونت دي شامبور رئيس الفرع الاول واتى هذا الاخير الى ڤرسايل مَقرّ المارشال ظنًّا منهُ ان المارشال يجري انقلاباً في الحكومة وينادي بهِ ملكاً لكن المارشال لم يقابلهُ ولم يتفق مع أنصارهِ واشياعه لانه ابى ان يترك العَلَم الابيض شعار الملوك اجداده وهكذا سقطت الآمال الملكية وكان ذلك باعثاً لحمل المارشال على تعجيل إعمال المجلس في تقرير هيئة الحكومة وسنّ قوانينها التي أُعلنت في سنة ١٨٧٥ فاسفرت عن تعيين الهيئة الجمهورية حكومةً لفرنسة وانتخاب رئيس للجمهورية لمدة سبع سنوات مع امكان تجديده وتشكيل مجلسين ندوة الشيوخ وندوة النوّاب فالنوّاب يجدّد انتخابهم كلّ اربع سنوات امّا الشيوخ فكان نصفهم اوّلاً يتعيّنون

لطول الحياة والنصف الآخر لتسع سنوات . وهكذا يكون المارشال دي مكماهون الرئيس الاول الحقيقي للجمهورية

وفي عهده حدثت محاكمة المارشال بازين الذي حُكم عليه بالاعدام لتسليمه جيش متس فابدل مكماهون الحكم بحبس عشرين سنة وتمّ معرض باريس العمومي سنة ١٨٧٨ . وقد كانت الحكومة بسبب حوادث ثورة الفوضويين سنة ١٨٧٠ عيّنت مدينة ڤرسايل عاصمةً للدولة ومركزًا لرئيس الجمهورية ومجالسها . — وقد جاء في القانون الاساسي انه عند اختلاف الوزارة مع ندوة النواب فلرئيس الجمهورية الخيار بين استبدال الوزارة بخلافها بعد إقالتها او بحلّ ندوة النوّاب بعد استشارة مجلس الشيوخ وقد فضّل المارشال دي مكماهون هذا المذهب الاخير في ١٦ ايار سنة ١٨٧٦ فحلّ ندوة النوّاب لاتفاق ٣٦٣ عضوًا ضد سياسة الوزارة التي كانت من رأيه . فقام رأي الجمهوريين العام برئاسة غمبتّا ورموا المارشال بتهمة كونه يحاول قلب الجمهورية وخطب غمبتّا خطاباً جاءت فيه عبارته الشهيرة : «متى اظهر الشعب ميلَهُ فعلى المارشال حينئذٍ الامتثال او الاعتزال» فنجح الجمهوريون المعاكسون في الانتخابات واضطرّ المارشال الى الخضوع لارادة الأمة . واخيرًا استقال في خلال كانون الثاني سنة ١٨٧٩

٣ ﴿ جول غريڤي ﴾ لمّا استقال مكماهون اجتمع المجلسان حسب نصّ القانون في مدينة ڤرسايل برئاسة رئيس مجلس الشيوخ واقترعوا فنال الاكثرية جول غريڤي رئيس ندوة النوّاب وكان في عهد الجمهورية الثانية من المعاكسين لتعيين رئيس للجمهورية . وممّا جرى في زمن رئاسته صدور العفو عن ثوّار الكومون المنفيين الى كايان في اميركة . وأعيد مركز الحكومة والمجالس الى باريس . وتعيّن نيسان ١٤ تموز عيدًا وطنياً للجمهورية وبُدئ بمعاكسة الاكليروس في التعليم وأعلن التعليم الابتدائي الاجباري . وصدر في سنة ١٨٨٦ الامر بنفي كلّ مدّع بملك فرنسة مع ولي عهده وحرم اعضاء الأسر التي كانت مالكة من الانخراط في الجيش بعد ان طُرد منه من كان فيه منهم . — وقد اتمّ هذا الرئيس مدة السبع السنوات التي كان انتُخب لها وتجدّد انتخابه لسبع سنوات ثانية ولكن حدث ان الجرائد كشفت اعمال صهره ويلسون الذي كان ساكناً في قصر الرئاسة ويتاجر

بالاوسمة فهاج الرأي العام لذلك وان لم يوجد في القانون ما يؤيّده وقامت قيامة اعضاء الندوتين واستقالت الوزارة فاضطرّ جول غريفي للاستعفاء في كانون الاول سنة ١٨٨٧ بعد ان بقي رئيساً للجمهورية ثمان سنوات و ١١ شهراً

٤ ﴿ سادي كرنو ﴾ هو حفيد لازار كرنو وزير الحربية واحد رؤساء حكومة الجمهورية الاولى . كان ابوه وزيراً . وتعيّن هو وزيراً للنافعة . في عهده صار المعرض الباريسي العام سنة ١٨٨٩ . وقررت فرنسة اجراء السياسة الاستعمارية التي كانت باشرت بها في عهد غريفي في تونس والتونكين وغربي افريقية . وقبل انتهاء مدّته بستة اشهر قتلهُ الفوضوي الايطالي سانتو في معرض ليون في ٢٤ حزيران ١٨٩٤ . اشتهرت مدّتهُ بحوادث الجنرال بولانجه وبأوّل تقرّب فرنسة من روسية

٥ ﴿ جان كزيمير پيريه ﴾ اجتمع المجلسان في ڤرسايل وانتخبا في ٢٥ حزيران ١٨٩٤ رئيس ندوة النوّاب جان كزيمير پيريه رئيساً للجمهورية . — كان اسم عائلته الاول پيريه وكان جدّه المدعو كزيمير پيريه متولّيا رئاسة الوزارة في عهد لويس فيليب واشتهر فيها بثروته الطائلة وخطبه وجرأته الادبيّة وإقدامه وحزمه ومات في اجراء وظيفته وخلفهُ ابنه في خدمة الحكومة عهداً طويلاً فكافأه المسيو تيارس بان كلّف المجلس الملّي باضافة اسم الوزير كزيمير المشار اليه الى اسم پيريه فتألّف منهما اسماً عائلياً جديداً تخليداً لاعمال هذا الوزير (Casimir - Périer) . وكان المنتخب لرئاسة الجمهوريّة خلفاً صالحاً لوالده ولجدّه بعائلتها ثروةً واقداماً وعزماً وغيرة وطنيةً . وكان الجميع يؤمّلون خيراً من عهده وما شدّ ما كان انذهال الجمهور ودهشتهم اذ طالعوا في الجريدة الرسمية في اواخر كانون الثاني ١٨٩٥ خبر استقالته فاستغربوا الامر وتقوّلوا فيه الاقوال العديدة والحقيقة انه اعتزل حرصاً على كرامة امبراطور المانية فقدّم استعفاءه كتعرضية له بسبب حادثة جرت اثناء تحقيق مسألة خيانة دريفوس وكان الامبراطور يعتبر تلك الحادثة التي اجراها البوليس السري الفرنسوي اهانة له ولدولته

٦ ﴿ فليكس فور ﴾ جرى انتخابه في اواخر كانون الثاني ١٨٩٥ ولبث في الرئاسة الى ١٧ شباط ١٨٩٩ حيث توفي فجأةً : كان سابقا احد اعضاء ندوة النواب وصار وزيراً البحريّة . وفي عهده في اثناء سفره الى بطرسبرج صار إعلان التحالف

الرسمي بين فرنسة وروسية . وهو اول رئيس جمهورية خرج بصورة رسمية من اراضي الجمهورية وعامل الملوك شخصهُ بالمساواة معهم

٧ ﴿ اميل لوبه ﴾ : كان رئيساً للوزارة قبل تنصيبهِ . فانتُخب في ١٨ شباط ١٨٩٩ رئيساً لوطنه واتمَّ مدَّته تماماً . في عهده أُبطلت معاهدة نابوليون الاول مع الكنيسة . زار لوندرة ومدريد وبطرسبرج فابتدأ التقرُّب الودّي مع انكلترة وايطالية . وفي عهده انتهت كل المشاكل الاستعمارية مع انكلترة وابتدأت مسألة مراكش . وهو اول رئيس حكومة كاثوليكية زار رومية بعد خروجها من سلطة البابا الزمنية

٨ ﴿ ارمان فاليار ﴾ : كان رئيساً على ندوة الشيوخ وتولَّى رئاسة اجتماع ڤرسايل الذي انتخبه رئيساً للجمهورية في ١٨ كانون الثاني ١٩٠٦ (يجري الانتخاب لرئاسة الجمهورية بموجب القانون قبل نهاية مدة السلف بشهر واحد) وكان سنة ١٨٩١ وزيراً للعدليَّة لمَّا وقعت حادثة الزوّار الافرنسيين في رومية واستحصل حينئذ الحكم على رئيس اساقفة إكس . — وقد قضى مدَّته الرئاسية تماماً وقد زار مثل سلفهِ مدريد ولوندرة وبطرسبرج . وفي عهده صارت حادثة اغادير الشهيرة في مراكش وظهرت سوء نيَّة الدولة الالمانيَّة ووقعت حروب البلقان الاولى والثانية

٩ ﴿ ريموند پوانكاره ﴾ : هو من بارلدُوك اي من قسم اللورين الذي كان بقي لفرنسة تولَّى قبلًا رئاسة الوزارة وعُرف بفصاحتهِ ونزاهتهِ واقتدارهِ . استلم الاحكام في ١٨ شباط ١٩١٣ وقضى مدة رئاستهِ سبع سنوات تماماً . في ايَّامه ابتدأت الحرب الكونية العظمى التي استعادت فيها فرنسة مجدها العسكري وشرفها وولاياتها المفقودة في فرنسة وفي افريقية ومزّقت في ٢٨ حزيران ١٩١٩ في معاهدة ڤرسايل التي امضتها المانية معاهدة فرنكفورت المشئومة التي كانت رضيت بها سنة ١٨٧١

١٠ ﴿ پول ديشانل الحالي ﴾ : في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٠ انتخب المجلسان رئيس ندوة النوّاب المسيو پول ديشانل رئيساً على الجمهورية الفرنسوية . فاستلم الاحكام في ١٨ شباط ١٩٢٠ الاخير . ولد عام ١٨٥٦ في بروكسل حيث كان ابوه ملتجئاً بعد انقلاب ١٨٥١ . وقد ترأس مرتين ندوة النواب حيث عُرف خطيباً مصقعاً وكانت تجددت رئاسته على النواب للمرة الثالثة قبل انتخابه لرئاسة

الجمهورية ببضعة اسابيع — واول عمل رسمي اجراه انه ذهب في اول اذار الى مدينة بوردو وبجيته المارشال بتان(Pétain) قائد جيوش فرنسة العام وبعض الوزراء ونواب الالزاس واللورين كلهم فأجروا الاحتفال برجوع ما كان سُلخ من الالزاس واللورين ذكرا لحفلة الاحتجاج التي كان اجراها في بوردو نواب الالزاس في اول اذار ١٨٧١

وليسمح القراء ان نختم هذه المقالة بهذا الجدول مبينين فيه سنة ولادة وانتخاب ووفاة كل رئيس مع بيان المدة التي قضاها في منصبه

الاسم	الولادة	الانتخاب	الوفاة	مدة الرئاسة سنة	شهر
ادولف تيارس	١٧٩٧	١٧ شباط ١٨٧١	١٨٧٧	٢	٣
المارشال دي مكماهون	١٨٠٨	٢٤ ايار ١٨٧٣	١٨٩٣	٥	٨
جول غريفي	١٨٠٨	كانون ثاني ١٨٧٩	١٨٩٤	٨	١١
سادي كرنو	١٨٣٧	كانون اول ١٨٨٧	١٨٩٤	٦	٦
جان كزيمير بيريه	١٨٤٧	٢٣ حزيران ١٨٩٤	١٩٠٧	٠	٧
فليكس فور	١٨٤١	٢٦ كانون ثاني ١٨٩٥	١٨٩٩	٤	١
اميل لوبه	١٨٣٨	١٨ شباط ١٨٩٩	—	٧	٠٠
ارمان فاليار	١٨٤١	١٨ كانون ثاني ١٩٠٦	—	٧	٠٠
ريمون بوانكاره	١٨٦٠	١٨ كانون ثاني ١٩١٣	—	٧	٠٠
پول ديشانل	١٨٥٦	١٨ كانون ثاني ١٩٢٠			

فيكون الان في فرنسا اربعة رؤساء للجمهورية في قيد الحياة . ومن هذا الجدول يظهر ان اطولهم مدة كان جول غريفي واقصرهم مدة كان جان كزيمير پيريه وان اكبرهم سنا عند الانتخاب كان ادولف تيارس واصغرهم سنا كان جان كزيمير پيريه ايضاً

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

اليمن وائمتها

نظر في احوال اليمن قبل الاتراك

دعنا الان ننتقل من اواسط جزيرة العرب الى جنوبها ونسرّح رائد البصر في احوال اليمن فانَّ هناك ايضاً معمّيات يودّ القراء الوقوف على حقيقتها وكثيراً ما كرّرت الصحف اسم إمامها يحيى

هذا القطر الكبير قد لعب في كلّ اطوار تاريخهِ دوراً ذا شأن وذلك لعدّة خواصّ امتاز بها كحسن موقعهِ وسعة ارجائهِ وطيب هوائهِ وعمران بلدانهِ وكثرة خيراتهِ وغوّ عدد اهلهِ البالغين ستّة ملايين من النفوس مع اختلاف مناطقهِ من جبال شاهقة واودية عميقة وسواحل وثغور بحريّة فاستحقّت اصقاع اليمن ان يدعوها القدماء باسم العربيّة السعيدة . وكان العرب يقسمونها الى نيّف وعشرين ايالة يدعونها بالمخاليف كالمتصرّفيّات في ايّام الاتراك وكانت السير معدودة من اليمن قبل ان تفصلها عنها الدولة العثمانية فجعلها سنجقاً منفرداً

وقد عُرف اهل اليمن منذ سالف الازمان بالإباء وحبّ الاستقلال والنفور من كلّ سلطة اجنبيّة كما يشهد عليهِ تاريخهم في الجاهليّة على عهد ملوك حِمْيَر ثم توالت عليهم الدول بعد الاسلام وكثر بينهم الخوارج

وكان الحكم فيهم اوّلاً للخلفاء لشدّة وطأتهم الى ان اخذ حبلُ الخلافة بالانتقاض فاستقلّ اليعفريون وتولّى عليهم الزياديّون نسبةً الى محمّد بن زياد من السنة ٨١٩ الى ١٠١٨م وابن زياد هو الذي عمّر مدينة زَبيد وسكنها (سنة ٨٢٠) ثم خلف الزياديين النجاحيّون (١٠٢١ — ١١٥٨م) المنتسبون الى المؤيّد نجاح الحبشيّ الاصل

ثمّ صار امرهم الى المهديين المنتسبين الى علي ابن المهدي (١١٥٠ — ١١٧٣م) ثمّ الى الايوبيين من نسل صلاح الدين الايوبي (١١٧٣—١٢٢٨م) ثم الى السلالة المعروفة بالرسوليين (١٢٢٩ — ١٤٥٤م) ثم الى بني طاهر الى السنة ١٥١٧ وهي السنة التي دخل فيها السلطان سليم بلاد العرب . وكلّ هذه الدول جعلت كرسيّها في زَبيد

وكان غيرهم يتولّون على جهات اخرى من تلك البلاد فاتّخذوا مدينة صنعاء كحاضرة ملكهم منهم اليعفوريون نسبةً الى يعفور بن عبد الرحمان اوّل ملوكهم (٨٦١ — ٩٥٦م) والصليحيّون المنتسبون الى علي بن محمّد الصليحي (١٠٣٧— ١١٠١م) والحمدانيّون التابعون لحاتم بن غشيم الحمداني (١٠٩٨ — ١١٧٣م) . وملك قسمٌ آخر على عدن واصقاعها وهم الزريعيّون المنتمون الى كرم الزريعي (١٠٨٣ — ١١٧٣م) . وملك غيرهم في صَعدة وهم الائمّة الرسّيّون تبعة قاسم بن محمّد الرسّي احد الخوارج في ايّام الخليفة المأمون العبّاسي من سلالة زيد بن علي بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب المعروف بابن زين العابدين الذي صُلب بامر الخليفة هشام سنة ٧٣٩ م ومن جرّاء ذلك يُدعون بالزيديين

وينتسب الى هؤلاء الزيديين ائمّة صنعاء المتولّين الى اليوم . والزيديّون من اهل الشيعة لا يعترفون بخلافة ابي بكر وعمر وعثمان بل بخلافة علي وسلالته . ومنهم عدّة فِرَق كالبتريّة والسليمانية والجارودية واليعقوبية يناقض بعضهم بعضاً ومنهم من يرى رأي المعتزلة . وائمّة صنعاء يتلقّبون بامراء المؤمنين ويضربون النقود باسمهم ولهم رايةٌ حمراء عليها صورة ذي الفقار سيف علي بن ابي طالب

ولمّا ظهرت الدولة العثمانيّة في القرن السادس عشر واستولت مدّةً على اليمن لم يتهنّأ بنو عثمان بملكهم واضطرّوا غير مرة الى ان يبارحوا البلاد لعصيان اهلها على ولاتهم منتصرين لائمّة صنعاء الذين كانوا لا يزالون يطالبون بحقوق الامامة حتّى ظفروا بها زمناً طويلاً (١٥٩١— ١٨٣٠م) . واوّلهم الامام قاسم بن منصور من سلالة الرسّيين السابق ذكرهم . ثم انتقلت الامامة الى زعماء آخرين منهم الامام يحيى الآتي ذكرهُ

على انّ سلطة ائمّة صنعاء ربّما ضعفت فقام عليهم شرفاء من اهل وطنهم انتزعوا منهم قسماً من بلادهم فملكوا عليها مدة كسلطان لحج وشرفاء ابي عريش وشيوخ

عسير وربما نازع سكانُ جنوب اليمن اهلَ شماله فقامت بينهم الحروب وتفاقم الفساد

اليمن والوهابيون (١٨٠٥ — ١٨١٣)

قد سبق لنا القول ان الوهابيين في اوائل القرن التاسع عشر تجاوزوا حدود نجد في ايام اميرهم سعود وعبد العزيز وتهدّدوا الحجاز واليمن ولم يلبثوا ان استولوا على قسم كبير من اليمن دون صنعاء. وذلك سنة ١٨٠٥ تحت امرة شيخ عسير ابي الحكل المعروف بابي نقطة لعور عينه. وكان ابو نقطة انحاز الى الوهابيين فأطلقوا يدهُ على اليمن فغزا جهاتها الجنوبية وفتح مدينتي لحيّة وحديدة

واذا تصدّى له احد شرفاء اليمن المدعو ابا مسمار حنّودًا كان ابو نقطة فتك به لكنّ حنّودًا تظاهر بالخضوع لامير الوهابيين ومن ثمّ اخذ يعادي شيخ العسير ابا نقطة ولم يزل يعاكسهُ حتى تمكّن من اغتياله فقتلهُ بيدهِ سنة ١٨٠٩ وبسط حكمهُ على اليمن فحظي اليمن ببعض الراحة

المصريون في اليمن (١٨١٣ — ١٨٤٠)

لمّا تحفّز محمّد علي باشا ثمّ ولداهُ طوسون وابرهيم لمحاربة الوهابيين باغراء سلاطين عثمان وجّه المصريّون فكرتهم الى اليمن فضلًا عن الحجاز . وفي السنة ١٨١٣ بعث محمد علي الى اليمن احد ضبّاطهِ المسمّى آغا يوسف. فاجتمع هذا بالشريف حنّود وبالامام منصور صاحب صنعاء واقنعهما بمقاتلة الوهابيين مع الجيوش المصريّة

فساروا معًا وحملوا على خلف ابي نقطة الشيخ تهامي وانتزعوا من يدهِ مدينة قنفذة الساحليّة ففتحوها لكنّ الشيخ تهامي عاد اليها بجموعهِ فاسترجعها منهم . فلمّا بلغ الخبر الى محمّد علي زحف الى المدينة بقوّات جديدة فغلب الوهابيين مع ما ابلوا بهِ من البلاء الحسن للمدافعة عن البلدة ووقع الشيخ تهامي في يد المصريين فارسلوهُ محفورًا الى الاستانة فقتل فيها سنة ١٨١٥

وبقي النفوذ المصري عدّة سنين سائدًا على اليمن حتّى قام سنة ١٨٣٢ احد المماليك من رعايا محمّد علي فعصى على سيّدهِ وهيّج عليهِ قبائل عرب اليمن . وقد عُرف هذا الخارجي بلقب تركي ثم دُعي لجهله اللغة التركيّة باسم « تركجه بلمز »

فالمذكور استولى على مخا وحديدة فاضطرّ محمّد عليّ الى ان يوجّه من مصر جيشاً لمحاربته ففتح المصريون بمساعدة شيخ العسير عليّ مجتن مدينة مخا ونهبوها . اما زعيم الفتنة ففرّ هارباً من ايديهم والتجأ الى سفينة انكليزية وسافر الى العراق حيث مات خامل الذكر

ثمّ اجتهد المصريون ليوطّدوا ملكهم في اليمن لكنهم وجدوا في اهلها من فظاظة الاخلاق والدسائس والفتن ما اخرج صدورهم والجأهم الى ان يُجلوا عساكرهم اولاً من عسير ثم من تهامة وباقي اليمن سنة ١٨٤٠ وحصل على اثر جلائهم اضطرابات في انحاء اليمن وانتهز الانكليز تلك الفرصة ليبتاعوا من سلطان لحج مدينة عدن وهي مقلاد بحر الهند سنة ١٨٣٩

وفي تلك الاثناء حاول امام صنعاء السيّد محمّد يحيى ان يستولي على تهامة ويردّها الى سلطانه فحمل عليها واحتلّ معظم مدنها كالحديدة وزبيد ومخا ونازعهُ شريف مكّة في ملك مخا ففتحها والحقها بالحجاز

وقام ايضاً شيخ ابي عريش المسمّى بالشريف حسين طامعاً في توسيع نطاق ولايته فاتفق مع شيخ عسير وسار كلاهما بقبائلها الى تهامة وانتشلوها من ايدي امام صنعاء

الدولة العثمانية في اليمن

ثم قويت شوكة الشريف حسين في انحاء اليمن وعجز امام صنعاء عن قمع سلطته بعد ان ناجزهُ القتال مدّة فسيّرت حينئذ الدولة العثمانيّة لمحاربته فيلقاً من جنودها في عام ١٨٤٩ يقودهُ توفيق باشا فلم يزل يتعقّب آثار الشريف حتّى اضطرّهُ الى طلب الامان والاذعان الى اوامر السلطان فخلع عليه وجعل له راتباً يقي في حيز المواعيد العرقوبيّة . واذ اراد ان يطالب بحقوقه شاع بغتة خبر وفاته والله اعلم بسببها (١٨٥١)

فتقلّدت حينئذٍ الدولة امارة ابي عريش الشيخ حيدر ابن اخي الشريف حسين وادخلت بلاد تهامة في جملة ممالكها وعيّنت لتدبيرها احد عمالها من الباشوات فجعل مركزهُ في الحديدة

ثمَّ رأى توفيق باشا ما صار اليه ائمّة صنعاء من الضعف فظنَّ الوقت مناسباً ليلحق بلادهم بأملاك الدولة فاستدعى الامام محمّد يحيى الى الحديدة وطلب منهُ ان يعترف بسيادة السلاطين على اليمن وان يرضى باقامة ٨٠٠ جندي تركيّ كحامية في صنعاء وان يُدعى في الصلاة باسم السلطان عبدالمجيد وان تقسم مداخيل صنعاء بين الخزينة السلطانيّة وولاية صنعاء . فخاف الامام ولم ير بُدًّا من الاجابة الى اوامر توفيق باشا فوقّع على تلك المعاهدة

لكنَّ اهل صنعاء لم يرضخوا لهذه الاحكام وما كادوا يقفون على مضامين المعاهدة ورأوا إمامهم في صحبة توفيق باشا والجند العثمانيّ ولاسيَّما اذ سمعوا الخطيب يدعو في الصلاة للسلطان عبدالمجيد بدلًا من ائمّتهم الزيديين حتَّى شغبوا وثاروا وقتلوا الجنود وخلعوا الامام محمّد يحيى ونصبوا بدلًا منهُ الامام منصورًا . ولم ينجُ من ايديهم توفيق باشا الَّا بعد ان أُصيب بعدَّة جراح وفدى نفسهُ بعشرين الف ريال

وبقيت صنعاء في حالة الفوضى بعد ان قاموا على الامام منصور ودعوا مكانهُ غالباً بن محمّد يحيى لكنَّ امورهم لم تستقم فكثرت بينهم الاحزاب وزاد الاضطراب وتعدَّدت الجنايات حتَّى ملَّ الجميع تلك الاحوال السيئة وتيسَّر للدولة العثمانيَّة فتح صنعاء سنة ١٨٧٢ على يد احمد مختار باشا فقامت بتدبيرها كما شاءت وخلعت الامام غالباً واقرَّتهُ في صنعاء مع راتب معلوم الى سنة وفاتهِ . وكان رؤوف باشا سبق واستولى على العسير فصارت اليمن كلها تحت حوزة بني عثمان

ثورة محمد الدرهم ابي الامام يحيى

اعاد الاتراك النظام في صنعاء اليمن فأخلد اهلُها الى الطاعة والسكينة لكن عمَّال الدولة ما فتئوا ان هيَّجوا عليهم خواطر السكَّان بظلمهم وسوء تصرُّفهم الى ان طفحت الكأس وبلغ السيل الزبى وذلك للضرائب الفادحة التي بهظوا بها اعناق اليمنيين ولاسيَّما في سنتين توالى فيهما الجدب فلم يستطع الاهلون الى أدائها سبيلًا .

وكان في جملة الذين اصابهم عسف الاتراك رجلٌ من ذرّيَّة ائمّتهم يُدعى السيّد محمّد بن حميد الدين كان اوَّلًا مسجّلًا في الديوان ثم صار قاضياً ولمَّا رأى ما لحق بمواطنيهِ من الجنف والظلم خرج من صنعاء وسكن في الجبال في مقرّ يدعى غفلة

القدر لا ماء فيه بحيث لم يستطع الاتراك ان يحاربوهُ فدعا اليمنيين الى الاستقلال فلبّوا دعوتهُ بطيب الخاطر واقرّوا بسيادته فنشر معهم راية العصيان على الدولة (١٨٩١) واخذ يشنّ الغارات على مواقع الاتراك ويقوّي كلّ يوم سلطتهُ والدولة ترسل شراذم الجند عليه دون جدوى وبقي على ذلك نحو عشر سنوات فمات سنة ١٩٠١ دون ان يدخل صنعاء

الامام يحيى

قام في منصبهِ بعدهُ ابنهُ الامام يحيى وعمرهُ لا يتجاوز ٢٧ سنة فاقتدى بابيهِ وان كان دونهُ ذكاء لكنّهُ توفّق بعزمهِ الى الانتصار من الترك وطردهم من حاضرة اجدادهِ سنة ١٩٠٥ بعد ان حصرهم فيها زمناً طويلاً فأفنت المجاعة منهم قسماً كبيراً ثمّ فتك بالطوابير المرسلة لنجدتهم تحت قيادة رضا باشا وغالب باشا وفيضي باشا واغتنى بذخائرهم واسلحتهم وتعقّب آثار من فرّ منهم الى السواحل حتى كاد يستأصل شأفتهم وكان احد فيالق الاتراك احتلّ جبل شحارى فسار اليهم محمود ابن يحيى حميد الدين ففتك بهم واخرجهم من تلك الجهات وقتل اليمنيّون احمد عبيد الحارثي الذي كان انضمّ الى الترك فساعدهم على الامام يحيى . هذا فضلاً عن الامراض القاتلة التي انتشرت بين الاتراك فأودت بحياة الالوف منهم حتّى دُعيت اليمن بمقبرة الاتراك

فلما رأى السلطان عبد الحميد ان قوى جيرشهِ خارت دون ضبط اليمن فكّر في وسائل أخرى يصون بها عرشهُ ويبقي اليمن في جملة ممالكهِ فاوفد رسلاً والطافاً الى الامام يحيى ليؤلف قلبهُ بالمجاملة . ثمّ استدعى الى الاستانة بعض شيوخ اليمن ليطيّب قلوبهم ويسكن خواطر مواطنيهم بوعدهِ لهم خيراً وبلّغ الامام يحيى انهُ يجعلهُ والياً على اليمن مدّة عشر سنين باسم الحكومة العثمانيّة ويعيّن له فئات من الجند ليساعدوهُ في تنفيذ اوامرهِ

فكانت كلّ هذه الوسائل لا تقنع الامام وذويهِ وهم لا يرضون الّا باستقلال بلادهم . وأعلن في تلك الاثناء بالدستور العثماني فحاولت جمعيّة الاتحاد والترقي ان ترضي الامام يحيى بالانحياز الى الدولة وعظّمت في عينيهِ الدستور ونعمهُ . واذ لم

يخدع الامام باقوالهم فاقاموا لهُ خصماً يدعى المهديّ الذبياني جرت بينهُ وبين يحيى بعض المناوشات ثمَّ اصطلحا على مقاومة الاتراك

فأرسلت من الاستانة قوَّات جديدة الى اليمن وحصلت عدَّة معارك من السنة ١٩٠٩ الى ١٩١١ أُصيب فيها اليمنيُّون ببعض الخسائر . ثمَّ دُعي الامام يحيى مع قومهِ الى الجهاد في الحرب البلقانيَّة فرضي بهِ وتعهَّد بارسال ١٠٠,٠٠٠ جندي للدفاع عن حوزة الاسلام على شرط ان تعترف الدولة باستقلالهِ فوعدوهُ خيرًا وتقرَّب الى الدولة لكنَّ الحرب البلقانيَّة انتهت قبل ان ينجز بوعدهِ

ثمَّ أُعلنت الحرب العموميَّة الاخيرة فسحبت الدولة العثمانيَّة جيوشها من اليمن لحاجتها اليهم وبقي الامام يحيى آمناً في بلادهِ . فسعت لديهِ الدول الاتفاقيَّة وطلبت منهُ الحياد وبغَّضت اليهِ تركيَّة واحلافها وراعت لهُ خاطرًا في حكمهِ على بلادهِ مستقلًّا لكنَّ الامام اصرَّ على ثباتهِ في ولاء تركيَّة . وذلك في السنة ١٩١٧ وقد استولى على قنفذة من ثغور الخليج العربيّ . ولم يبلغنا بعد الهُدنة خبر عن شؤون تلك الجهات (لهُ صلة)

زجليَّة في وصف الغلاء والجوع والضيق

منذ مائة وثلاثين سنة

نشرها بحواشٍ ومقدمة الكاتب المتفنن عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار)

بعد مرور ثلاث سنوات على الحرب الضَّروس ومشاهدة ما تشيب له رؤوس الاطفال من اهوالها وقع لي توافق غريب . بينما كنتُ ابحث بين مخطوطاتي مستقرياً الحوادث السالفة وما قيل فيها عثرتُ بينها على سفينة وهي دفتر مستطيل قليل العرض فاذا فيه زجلية كأنها نُظمت لهذهِ الايام منذ ذلك العهد البعيد واليك الآن وصف هذه السفينة :

هي دفتر بطول نحو عشرين سنتيمترًا وعرض عشرة سنتيمترات يقع في ٧٨

صفحة على ورق صفيق وبخط كتبي جميل كُتب في العشر الأول من القرن التاسع عشر للميلاد وفيه المواضيع الآتية :

١ً زجلية في وصف حوادث جبل الدروز (الشوف) سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م) تقع في ١٨ صفحة لناظمها ابي ابرهيم درويش بن مرعي القاري المنتسب الى قرية قاره في جبل القلمون وفيها تفاصيل غريبة لحروب تلك الايام ولاسيما الثورة الوطنية في الشوف والمتن

٢ً زجلية في وصف الغلاء والجوع والضيق الذي حصل سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) بعد مرور ثلاث سنوات على اضطراب لبنان وضواحيه ولم نعرف اسم ناظمها ولكن يظهر من امره انه لبناني مسيحي من قضاء الشوف من جوار دير القمر او منها

٣ً اشعار وتعظيمات واناشيد مختلفة بينها ما هو من قلم الشماس زخريا والشماس ابرهيم الطبيب الحاكي والشماس مخايل بروساوية والخوري مخايل البجع الحلبي والشماس نعمه اخوري توما واخوري نقولا الصائغ ويوسف اليهودي وغيرهم مع تخاميس ومدائح لشعراء مجهولين

وعلى الجملة ان هذه المجموعة كثيرة الفوائد رشيقة النظم مختلفة المواضيع بين دينية ومدنيّة وازجال واشعار واناشيد

حوادث الزجليّة المنشورة الآن

هي وصف لما حدث في مطلع القرن الثالث عشر للهجرة وختام الثامن عشر للميلاد ايام نشوب الخلاف بين الامير يوسف الشهابي حاكم لبنان وابن شقيقه الامير بشير الكبير وإلقاء الجزّار الفتن بينهما على حدّ قول الامير بشير لعمّه لما انتدبهُ سفيرًا له لدى الجزّار في عكاء وهو : « اخشى ان اذهب ابنك واعود ابن الجزّار » فكان كما قال . وكان من اشدّ الفتن اذ ذاك ما حصل بين الامير قاسم حيدر الخرمشي وابن عمه الامير جهجاه مصطفى في حكم بعلبك واستفحال الخلاف بينهما ومحاربتهما وقتل الامير قاسم ثم اشتداد الخصام بين امراء لبنان مما قامت له البلاد وقعدت وانتشرت الفتن في ضواحيه ولاسيما في الشوف والمتن وسيادة الفوضى

والسعايات مما خرَّب بعض المدن وقضى بجلاء النصارى منها فكانت فتنة بيروت بين فارس الدهان والي عسكر يونس نقولا الجبيلي حتى أقفلت ابواب المدينة وهرب النصارى منها وبقيت عقاراتهم ثمن الالف بمائة غرش . وانتقام الامير بشير من خصومه بتشديد الطلب للضرائب والوزائع منهم وجمع المال بواسطة مدبّريه فارس نصيف الجزّيني وجدعون الترك الدّيري وتقديمهما للجزار . وما كان من شرارات الثورة الفرنسية في الشرق وتفشي الطاعون الجارف في القطر المصري وفتنة المماليك وقتل كثير من الامراء والمدبّرين شنقاً وإرهاقاً وقتلاً (قطع رأس) واحراق المنازل وقطع الاشجار حتى اشتدَّ الغلاء وكثرت المصادرات وقلَّ الأمن وزادت قيم النقود الى مثل ذلك من النكبات والكوارث التي ذكرها المؤرخون . لكنَّ ناظم هذه الزجليَّة المنشورة اليوم قد صوَّرها لنا باسلوبه العامي الرشيق وحسن استقرائه الحوادث وذكر تأثيرهما في النفوس احسن تصوير لم نجد مثله في ما قرأناه عنها . ولا تأثرنا لتلك الاخبار على كثرة ناقليها تأثرنا من هذه البلاغة الوصفية

وهذه هي الزجليَّة كما وردت بالحرف

هذه الابيات قالها احد الأدباء واصفاً بها احوال هذه السنة وما حدث بها من الضيق والغلاء والجوع الصارم الشديد :

أبدا اقول في بيوت جدادْ واشهرها في كل البلادْ
رقوا لحالي يا أجوادْ قلبي تعنَّى ودمعي زادْ

قبل الآن كان لي قيمهْ وكل مقدار حجّه عزيه
ويدي سمحه وكريمه واصحابي نحوي تنقادْ

والآن انبدلت حالتنا وزالت عنا نعمتنا
وايضاً قلَّت قيمتنا وصارت في قيمة شحّادْ

سنة مايتين . الف وسته (١ اخدت مدّ الحنطه بسته (٢

---

(١) يريد سنة ١٢٠٦ هـ الموافقة ١٧٩١ م (٢) ستة مصاري

وكان بزمان جدّي وستّي باعوا بزلطه (١ سبع مداد

ما يكفي ما صار فينا بهذه السنتين هنينا (٢
يا ربي الطف فينا نحن عبيدك يا جوّاد

كنت معتمد (٣ لي كم غرش وكانوا كومي مثل الحرش
ومكفي بيتي مونه وفرش وكسوه مليحه ثياب جداد

مرّ علينا تلات سنين وتلاتتهم ملعونين
بلص (٤ وحرب وجوع مكين وهذه هي ضربات شداد

اسمع ما صار من سنتين بلصوني بالف ومايتين
وغالبها قد كانت دين يا ليت جدعون آغا (٥ باد

ماذا اخبركم عنه يا ما قاسينا منه
كل الناس بتلعنه حتى الرهبان والعبّاد

وعام الماضي (٦ كان حروب ومن الدوله قلبي (٧ متعوب
فارس ناصيف (٨ المغضوب يبليه ربي بالانكداد

وهذه الايام قد حطّت على هاتيك وقد وطّت (٩
وطبول الجوع لقد غطّت على نايات (١٠ ذاك الميعاد

---

١) الرلطه عند العامة تلاتون مصرية ٢) متنا جوعاً ٣) مؤنر ؛
٤) المصادرة بالمال ٥) هو جدعون آغا التركي مدير الامير بشير الشهابي
٦) يريد سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) التي كثرت فيها وفي ما قبلها الفتن بين الامير يوسف والامير بشير والامراء الخرافشة وامزاد وادي التيم فقتل كثير وصودر الاخرون واشتدّ الغلاء وكثر الطاعون في مصر وكانت الحروب في قرنة شورحا انه وقد وصفها احد الرجالين كما مر في المقدمة مطولا ٧) في الاصل (قبلي)
٨) يريد فارس ناصيف الجزيني الذي كان من مدبري الامير بشير الشهابي ايضاً
٩) تقول العامة (حط ووطى عليه) اي تزل به او زاد عليه ونحو ذلك
١٠) من اساليبهم « اجا الطبل غطى عالناي » بمعنى زاد في الطين بلة او في التنور نفخة

راح زمان وجاني زمان ضيق سكرت الدكان
وبعده روحت (١ الفدان وبعت السكه للحداد

ايام سودا مثل القير والمونه خلصت بكير (٢
ولولا القره والجرجير (٣ كنا صرنا بارض روّاد (٤

حالتنا صارت غيره من الموت على وجهي غيره
وكانت كسره بلا جبره تفيتوا قولي يا اسياد

عيسى سيف (٥ مفهوم الجوع في فكري صاير مطبوع
وقلبي من جوره مقطوع وحاصل في كل الاتكاز

كان عندى حالوش (٦ وقاس وطنجرتين ودست نحاس
قبعت الكل من الافلاس حتى الترشه واللبّاد (٧

آهاً من ديق (٨ الأوقات من عوزي بعت الفرشات
عيله كبيره خمس بنات وأمراتي مع خمس أولاد

سم أمراتي زاد اخير السنه ولدت زال اخير
صاروا ستّه يا أهل اخير ونحني بزود عددهم زاد

اين التنزيلات والكيف (٩ قد لاشاهم عيسى سيف
ما تسمع الّا يا حيف (١٠ من شان الله داد مداد (١١

---

١) عند العامة بمعنى باع ٢) القير الزفت، وخاصت بمعنى نفدت وبكير ايا (باكراً)
٣) من النباتات التي تكون على شاطئ المياه او في مجاريها وهي تكثر في لبنان
٤) تفي الامراء اللخميون اذ حزبرة ازواد قصاصاً لهم فضرب المثل عند اللبنانيين بها للبعد او التحقير ٥) تكنى العامة عن الافلاس والجوع والضيق باسم (عيسى سيف)
٦) الحالوش منجل الحصاد ٧) هو بساط صوفي مثبد ٨) اي ضيق (بالابدال)
٩) الكيف عند العامة بمعنى الانبساط والسرور وكيف الرجل اذا سر وخاصة اذا شرب وطرب ١٠) يا حيف كلمة توجع عند العامة
١١) داد مداد اقتبسا مختزلة من قولهم: (بالمدد المدد) عند الاستغاثة

وبطّلنا كل الاشتغالْ وحصلنا على هذه الحالْ
ورطل الخبز يباع بريال (١ اسمه خبز ولونه سوادْ

وبطلت القرضه والدّينْ ما عادوا يعطوا قرشينْ
ومن يوجد عنده مدّينْ خناهم في هذا الميعادْ

وتعطّل شغل النجّارْ وباع القدّوم والمنشارْ
والحايك ثم البيطارْ باعوا الآلة والإعدادْ (٢

والصايغ ثم العطّارْ والبايع ثم الجزّارْ
والصبّاغين والتجّارْ والقرداحي (٣ والحدّادْ

والعقّادين والطبّاعْ والشرّابين والبيّاعْ
والغاية كل الصنّاعْ حصلوا في سوق الاكسادْ

وبطلت كل الكيفيّاتْ ومعها جميع التنزيهاتْ
لا فيه عرس ولا عزيماتْ (٤ فكل شي من هذا ما عادْ

وارتفعت كل الاسعارْ جوع وضيق مثله ما صارْ
كتيرين ماتوا يا ستّارْ (٥ لمّا عدموا اكل الزادْ

اخدت لولادي رطل طحينْ فول وكسنه ورزّينْ
بتصريات خمسة وستينْ وعجناه فشّى (٦ ما زادْ

وخبزناه بلا تنوّرْ وحطّينا للباب ناطورْ (٧
ما كفّانا نصف فطورْ وكان غايبنا ابني عمادْ (٨

١) الريال في عرفهم غرش ونصف ٢) اي العُدّة والادوات
٣) القرداحي هو الحدّاد الذي يشتغل بالمبرد وبالاسلحة وامثل القيْن تؤدي معناها . ويقال القرداحجي على النسبة التركية ايضاً ٤) جمع عزيمة بمعنى دعوة الطعام
٥) كلمة « يا ستّار » للترحّم بمعنى يا الله يا ساتر
٦) فشّى العجين ونحوه اذا انتبر وانتفخ ٧) حارس وحافظ وحاجب
٨) غايبنا اي غائب منا وخصّ ابنه هذا بالذكر لانه الاكبر فهو يأكل أكثر من اخوته

شموا ريحتنا الجيران الا ان شافوا الدخان
اتونا قالوا اعطونا احسن او عيرونا بغير رداد (١

قلت لهم نحنا مساكين الآن اولادي عريانين
قلعوا ثيابهم الوسخين عمال نغلي بالقدر رماد (٢

اخدت حفن نصف وقيه نجفي وبختي (٣ بشاهيه (٤
عشر دراهم بصريه خمسين حبه بالتعداد

ولم يبقى للوزن وجود والبرغل ايضا مفقود
ورطل الفول بخمس عدود (٥ اخضر عن امه يا جواد

والعدل نصف وقيه شامي (٦ انباع بصريه
وملح اخدنا تنيه (٧ بعشر مصاري بالف جهاد

وجنس الحلو فصار مطلوب فلا يوجد غير الخرنوب
الرطل بزلطه يا حبوب اكلت وقيه صار لي سداد (٨

وتسكرت صيدا وبيروت (٩ وما عاد يخرج منهم قوت
وتيقنا اننا نموت جوعاً من قلة الزاد

من القله نحن هفينا وتربطت ايادينا (١٠
ولا ان ضاقت فينا قلنا نروح لغير بلاد

سألنا عن حالات الشام قالوا ما فيه جنس طعام

---

١) اي مون ان نفيد ايكم الاعزة
٢) في هذه الاشارة الى التفصل من وجود ما يطبخ عنده وبعد عدم وجود الصابون للغسل
٣) هو نبته بالرماد ٤) هو قمح عندهم بمعنى بخق نصيبي وقسمي
٥) الشاهيه قيمتها ثلاث بارات وكانت ثمرة
٦) العدس بارات وجمعها عدود ٦) كان الوزن الشامي غير الوزن الحلبي واللبناني
٧) مكيال هو ثمن اي نصف رطل ٨) مرض يسمى ريح السدد
٩) اي بيروت حرفها للوزن ١٠) تربطت الايدي اي انقطعت عن العمل والسعي

الاكل حشيش بغير إدام (١ وكم فيها ماتوا سياد

قلنا نروح لبلاد حوران قالوا هذا كلام جنان (٢
التبن يبيعوه بالميزان ونحن على ذلك شهاد (٣

قلت وعكا يا اخيار ماذا عنها من الاخبار
قالوا بلطة الجزار (٤ وكل ساعه رايات (٥ جداد

قلنا بعابك يا اصحاب قال لها سنتين خراب
لا غلات ولا اكساب (٦ وجهجاه غير تمكن ينكاد (٧

قلنا حمص وقراها كيف قال قاطعهم عيسى سيف
بزمان الخير لم يقروا ضيف ولن يوجد فيها اجواد (٨

قلنا نقطع لارض حماه ونا كل من هناك كماه (٩
قالوا رايك ما قبلناه تموت الجوع بغير ميعاد

وطرابلس لا تطريها (١٠ فعيسى سيف هافيب
من يومين كنا فيها فلن يوجد غير الكباد (١١

قلنا وبلاد البترون قولك فيها كيف يكون
قالوا لا شك انك مجنون ما فيها غير معزي وسواد (١٢

قلت لهم وبلاد جبيل قالوا بتلاقين الكيل
والناس حالتهم بالويل وذاك بلاد وهذا بلاد

١) الادام اللحم والزيت والسمن ونحوه ٢) جنون ٣) شهود
٤) يريد ان الفأس الشهاة باطة هي دائما مختبرة تقطع الرأس
٥) جمع رأي اي آراء ٦) اي ارباح
٧) اي ان الامير وجهجاه الخرفوش لا يفنا ٨) لا تعلم الاذا تحامل الناصف على الحصيين
٩) الكم لانه يكثر في تلك الجهات ١٠) اي لا تقصدنا ولا تضطرها بالك
١١) لكثرة حدائق الليمون والبرتقال فيها
١٢) تكثر الماعز في بلاد البترون لكثرة اشجارها وغابتها والسواد هو الاسود

قلت علينا باستنبولْ قال لا شك انك مهبولْ (١
ما صاير لك اكلة فولْ فاين الزوّاده والزادْ

اوفق لك سكنى بلادكْ ويتبقوا لك اولادكْ
وفيهم بتنال مرادكْ ويفرجها رب الاعبادْ

رأيت ان هذا راي نصيحْ كلام محبّه وقول صحيحْ
منقضيها (٢ وحيش ومليحْ من البور حتى يصير حصادْ (٣

وعير الملح ما عدنا نموزْ ونصف وقية زيت بكوزْ
وبلاهم (٤ ايضاً بيجوزْ على اكل الخضره (٥ نعتادْ

ولما حاق فينا الافلاسْ عملت لولادي خمس اكياسْ
وطلبنا صدقات الناسْ وصرت ابرم (٦ مثل الشحّادْ

رحنا قصدنا دار المرْ (٧ وكان رجانا فيه كبيرْ
باجهد عطونا رغيف شعيرْ وقالوا روحوا بغير طرادْ (٨

قد توجّهنا المدّير (٩ انا واماراتي لا غيرْ
قلنا الرهبان عمّالين خيرْ عطوني طلبه وقالوا بعادْ (١٠

وقصدنا بيت الاصحابْ بوجهي قاموا غلقوا البابْ
فصرت ابكي ودمعي تسكابْ على ذلك . ما انا معتادْ

ولم يوجد من يعطينا ولا من يشفق فينا

١) اي محتل الشعور ويقولون اهبل وهبله ايضاً والمانيا تحريف (جاول)
٢) منقضيها اي نصرفها بحالتي الرخاء والشدة
٣) اي من قبل الفلاحة للزراعة الى ان يصير حصاد المزروعات
٤) بدوهم ٥) البقول والحشيش ونحوها ٦) ادور
٧) الامير بشير الشهابي الكبير ٨) بدون طرد
٩) يعنّ دير القمر التي كان فيها رهبان دير الثلة او لدير مجاور كمشمش ونحوه
١٠) انضمه الرغيف المتدير السميك . وبعاد بمعنى ابعد

حتى من الجوع هفينا وكل يوم الضيقه تزداد

اشتد الجوع وزاد الضيق وما عدنا نعرف لصديق
كم ليله نمنا على الريق (١ وما عرفنا بالليل رقاد

تحقيق لي عشر ايام لم يدخل في فمي طعام
أما هذا يا ربي صيام فقربنا نحو الاعياد

ومن عشرين يوما وينيف على حظي ما كسرت رغيف
من الجوع صار جسمي نحيف وضعفنا أرواح وأجساد

وضامتنا هذه التله وفي بيتي ما فيه غله
فصرنا نشتاق للاكله تكون مخبوزه خبز جماد (٢

آه على اكلة لبنيه وعشرين كبه محشيه
واتعشى عشره هنيه قبل ان انزل بالاحاد (٣

هذا بطلب من ربي يرزقني اكلة كبه
من البرغل ما فيه حبه فشهوات قلبي عني بعاد

صرنا ندور في البريه من بكره لعند عشيه
ناكل عشب وقدريه وحجل وخبيزه ورشاد (٤

من صدق اننا منعيش وغدانا وعشانا حشيش
بيض حليب وجبن قريش موجود لكن في بغداد

تشوف الناس متل القطعان في البريه والوديان

١) على الريق اي بدون طعام
٢) اللة معروفة وخبز جماد اي مجفف بالشمس دون نار
٣) اي بالقبور
٤) القدرية هي المعروفة عند عوض العامة باسم بلنصوص وهي يونانية محرفة معربها لسان الثور ويسمونها كذلك في لبنان ايضاً . والرشاد بقلة معروفة

كل واحد عامل شقبان (١ نسا ورجال بنات وولاد

وصاروا من ديقة الاوقات ياكلوا من لحم الحشرات
ولحم الزلف والحيّات والقنفد من غير اقياد (٢

وكثيرين من ديقتهم والجوع انبدلت خلقتهم
تراهم رقت نغمتهم مما قاسوا من الاجهاد

بعلمك كانوا أولادي ملاح وخلقتهم مثل التفّاح
قد صاروا شبه الوحواح (٣ اذا رشيت عليه رماد

وقد ماتت بنتي مرجان وتاني يوم ابني رضوان
قبرناهم من غير أكفان ولحقتهم أمراتي (زاد . .)

وتبقى اربع صبيان عماد وايوب مع سرحان
وخمس بنات وسليمان جمله تسعه بالتعداد

هذا الضيق مثله ما صار بمصر ولا كلّ الاقطار
ولا بزمن ايليّا البار ولا جا في عهد الاجداد

فلم ضاقت اخلاقي كتبت اقوالي باوراقي
وشهرين للبيدر باقي لا بد يفرجها الجوّاد

هذه السنه ارخناها ومصايبنا شرحناها
وفي الدفتر سطرناها ليقروها أولاد الأولاد

تمت

---

١ الشقبان تنى العباءة ونحوها الى الاعلى ليوضع فيها شيء وهي من عادات نساء العرب
٢ الزلف عندهم بمعنى السلاحف ونسمى ايضا الجاموسة عند العامة . ومن غير اقياد اي بدون مانع
٣ الوحوح عند بعض العامة بمعنى الشيء الصغير كالحجر والنبات

كتاب الكتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الرابع

هذا باب الوَصل والفَصل وفصولهما

١ شروط الوَصل والفَصل والأَصلُ الذي يُبنَيانِ عليه

اعلم انَّ كلَّ حرفٍ من حروف المُعجَم يُوصَل بما بعدهُ من الكلمة التي هو فيها ويُفصَل منها الّا ستّة احرف من المعجم لا تتّصل بما بعدها الستّة (١٩ا) وان كانت في كلمةٍ واحدة : الأَلفُ والدّالُ والذّالُ والرّآءُ والزّايُ والواو . والكلام مؤلّف من جميع الحروف وحقُّ كل كلمةٍ تقع مفصولةً في الكتاب ممّا قبلها وما بعدها ليدلَّ كلٌّ على ما وُضع لهُ مفرَدًا الّا أن يقعَ قبل الكلمة او بعدها كلمةٌ على حرفٍ واحد فيجب وصلُها بها لأنَّ العرب لا تنطقُ بحرف واحد مفردًا فيبتدأ بهِ وتقفَ عليهِ وكذلك يجب ان لا يُفرد مثل ذلك في الكتاب اتباعاً للفظ الّا ان يكون حرفاً من الحروف الستّة التي لا تتّصل بما بعدها

٢ ما يُوصَل من الكِلَم الذي على حرفٍ واحد بما بعدَهُ لأَنهُ لا يَنفرد

فمنهُ يوصل بما قُلنا لامُ الإضافة وبآئِها وكافها في قولك : لزَيدٍ وبزَيدٍ وكزَيد . وقد أُفردت اللّام في بعض المصاحف في قوله (١ : ٥ فمالِ الّذينَ كفروا) فلو كان صواباً جازَ للقارئ أن يَقف على اللام ويبتدئ بما بعدها . ولا يقرأ بهذا الّا جاهلٌ بالقراءة . ومنهُ لامُ القَسم وتآؤهُ في قولك : لَزَيدٌ أفضلُ من عمرو . وتاللهِ تَفتَأُ (١٩ب) تذكرُ يوسفَ . والواو مثلها في المعنى وان لم تتّصل في الكتاب .

---

١) سورة المعارج ٣٦

وكذلك همزة الاستفهام . ومن ذلك فاء العطف كقولك : دخلتُ الكوفةَ فالبصرةَ . والواو في اللفظ وفي المعنى مثلها الا في الخطّ ومن ذلك السين في قولك : سيفعل . ومنهُ لامُ التعريف لأنها على حرفٍ واحد وانما لحقها الفُ الوصل لسكونها وذلك كقولك : الرَّجلُ والمرأةُ . وقد غلط الراجزُ فأفردها في اللفظ لمّا رأى الفَ الوصل معها فظنّ انها على حرفين وشبّهها بقَدْ ونحوها فقال :

دَعْ ذا وعَجّلْ ذا وألحقْ ذا بِذِلْ شحمٍ فانّا قد جعلناهُ بخَلْ

ولا يُعتَلُّ على الغلط وكذلك سبيلُ ما كان اصلهُ اكثرَ من حرفٍ فحُذف حتّى لم يبقَ منهُ الّا حرفٌ كميمِ القَسَم في قولهم : « مالله » تُكتَبُ موصولةً لأنها مثلُ الباء في « بالله » . وكان اصلُها « مِنْ » فحُذفت النون في اللفظ كما حُذفت في مِنْ الحافضة في قولهم « مالقَوْمِ » يريدونَ « مِن القَوْمِ » وحكمُ كتابهما واحد في القياس ولا يجوز افرادُ الميم في الخطّ لأنها على حرفٍ فلا ينفرد في اللفظ ولا أن تَوصَلَ بلامِ فتُكتَبَ « ملقَوْمِ » ولا ان تُحذَف الفُ الوصل ويوصَلَ الميمُ بلام التعريف فيُكتَبَ « ملْ قَوْمِ » ونظير هذا (20) قولهم : « بنو فلانٍ عَلْبَاء » يريدون « عَلى الماء » وقياسُها واحدٌ . قال الشاعر :

غداةَ طَفَتْ عَلْبَاءُ بَكْرَ بنَ وائلٍ وعاجت صدورُ الخيلِ نحوَ تميمِ

ومما يتّصل به ما بعدهُ كلُّ فعلٍ وقع قبلَ علامة الإضمار كقولك : فَعَلْتُ وفَعَلْتَ وما تفرّعَ منها والاسماء المضافة الى مثل ذلك كغلامِكَ وغُلامي وغلامهِ وما تفرّع منها . والافعال والحروف الناصبة مثلُ ذلك كقولك : ضربتُكَ وضربتُهُ . وانّكَ وإنّهُ وما تفرّع من ذلك فزاد على حرفٍ واحد . وما وقع قبل النون الخفيفة او الثقيلة كقولك : « لأضربَنّ ولا تضربنّ زيداً » او قبل علامة تثنية او جمع او تأنيث وما اشبه ذلك . فان كان شيءٌ من الحروف التي ذكرنا على حرفين واكثر من ذلك غيرَ علامات الإضمار وجب ان يُفصَل في الكتاب لأنهُ يتفردُ في الكلام الّا ما عرض لهُ من ذلك امرٌ يوجب وصلهُ . فما ينفصل من حروف الاضافة قولك : من زيدٍ وفي عمرٍو . وفي حروف القسم من : واللهِ وأيمُ اللهِ . ومن حروف العطف : لقيتُ زيداً ثمّ عمراً . وبدل السين في سيفعل « سوف يفعل » . فهذا اصلُ جميع ما

يوصل او يفصل ثمّ يُنحى نحوَهُ بكلّ ما كثر استعمالُهُ فوصلهُ (20) الكُتّاب فيها اشبههُ او قاربَهُ أُجيزَ ومهما خالفهُ او باعدهُ أُجيل . فمن أكثر ما يوصلون « لا وما وهَا » ولهنّ مواضع يجوز ذلك فيها لضربٍ من القياس وربّما شبّهوا بذلك ما ليس مثلهُ فوصلوهُ وسنبيّن ذلك كلّهُ ما جازَ منهُ وما لم يَجُزْ ان شاء الله

٣ ما يُوصَل منها بمَا خاصّةً وما يُفصَلُ منها

امّا «ما» فقد تقع في الكلام ملغاةً عند عامّة النحويين لو حُذفت لما تغيّر معنى الكلام بحذفها وانّما يُؤتى بها توكيدًا كقولهِ عزّ وجلّ (١ : « فبِمَا رحمةٍ من الله » فلو قيل « فبِرحمةٍ » تمّ المعنى وان ذهب التوكيد . وكقولهم : « آتيكَ يوماً ما » لَناب عن ذلك . وكقول مُهلهِل :

لَوْ بِأبانَيْنِ جاء يخطبها وُصِّلَ ما أنفُ خاطبٍ بِدَمِ

فلو لم يأتِ بما لكان المعنى تامًّا ولكنّهُ اكّد بذلك وبالغ واستوفى بها وَزْنَ الشعر . فاذا كانت بهذا المعنى او كانت بغيرِ صلةٍ ووقعت بعد الاسماء المبهمة وغيرها او بعد حروف (21) المعاني شُبّهتْ بالحروف التي لا تَنفرد اذ كان المنطق بها لا يفيدُ معنًى ولانّهُ كثر استعمالها مع هذه الاشياء حتّى صارت كأنّها منها فوُصلت بها ولا يجوز وصلها بما خالف ما وصفنا

٤ ما يُوصَل من الحروف بمَا وما يُفصَل منها

فمن حروف المعاني التي تُوصَل بما « إنَّ وأنَّ ولَيْتَ ولَعَلَّ وكأنَّ ولكنَّ » اذا وقعت بعدهنّ على ما فسّرنا كقول الله عزّ وجلّ (٢ : انّما انتَ مُنذِرٌ » . وكقوله (٣ : كأنّما أُغشِيَتْ وجوهُهم قِطَعاً من الليل مُظلِماً » . وكقول الشاعر :

قالت ألا لَيْتَما هَذَا الحَمامُ لنا الى حَمامَتِنا ونِصفُهُ فَقَدِ

---

١) سورة آل عمران ١٥٣
٢) سورة الرعد ٨ ٣) سورة يونس ٢٨

وكقول الآخر :

تجلّدْ وعالجْ ذاتَ نفسكَ وانظرَنْ أبا جُمَلٍ لمّا انتَ حالمُ

وكقولك : « لكنّما انا اخوك » . يُكتب كلُّ هذا موصولًا فان وقعت بعد هذه الحروف بمعنى الذي لم يَجُزْ وصلُها وذلك مثل قوله (١ عزّ وجلّ ٢١) : انّ ما توعَدونَ لآتٍ » . ومثلُهُ قولك : « ليتَ ما عندَ زيد عندنا . وكأنّ ما يَكفيك لا يُرضيك . ولعلّ ما تريد لا يكون » كلّ هذا يُفصل لأنّها ههنا اسمٌ تامّ له صلة فلو أُلصِقَت لم يَجُز ذلك لأنّها لا تشبه الحروف . وتوصل ايضاً رُبَّ مع هذه الحروف نحو قول الشاعر :

ربّما اوفيتُ في عَلَمٍ ترفعنْ ذُبلي شالاتُ

واذا لَحِقَتْ رُبَّ التّاء فهي كذلك ايضاً مثل « رُبَّتَما » موصولَين على كلّ حال لأنّ ما بعدها تكون بمعنى الذي . وكذلك هي بعد كَيْ لأنّها مؤكِّدة لو حُذفتْ لم تُخِلّ بالمعنى . وذلك قولك : « زُرْني كَيْما أزورَك » ولا يجوز ان توصل بفي عندنا كقولك : « رغبتُ في ما عند الله » لأنّها بمعنى الذي ههنا ولكنّها توصَلُ بها اذا كان ما بعدها استفهاماً وحُذفت ألفُها من اللفظ لأنّها حينئذٍ على حرف واحد فلا تنفرد وليس فيها معنى الذي . وذلك قولك : « فِيمَ انتَ » فان وَصلتَ الميم بهاء الوقف فكتبتَ « في مَهْ » لم يَجُزْ وصلها لأنها قد تنفرد مع الهاء . وان جاءت ما المؤكِّدة التي لا صلة لها بعد « في » جاز وصلُها بها فأمّا من وَصلها بها على كلّ حال فانّما شبّهها بين وعَنْ لانهما حرفا جرّ مثلها وهي (٢٢) على حرفَين وذلك رديء والقياس ما قُلنا لانّهُ يقع في « مِنْ وعَنْ » إدغامٌ مع « ما » وليس ذلك في « في » وكذلك « حتّى مَهْ والى مَهْ وعَلَى مَهْ » في الاستفهام اذا لم توصل ما بالهاء وُصلت بما قبلها فكُتبت « حتّامَ والامَ وعَلامَ » والدليل على وصل هذا ردُّ الياء ألفاً كما هي في اللفظ واما « امْ ولَمْ وعَنْ وإنْ وأنْ (الخفيفتان) ومِنْ » فقد يقع ما بعدهنّ ملغاةً وغير ملغاةٍ الّا انّها تُوصل على كلّ حال من أجل انّ الادغام يلحقها فيصلها في اللفظ ايضاً وهنّ حروف فكان كتابُ حرفٍ اخفّ من كتاب حرفين كما كان النطق بحرفٍ

---

٢) سورة الأنعام ١٣٤

مدغم اخفّ من النطق بحرفين مضاعفين وذلك مثل قول عبد يغوث :

فيا راكبًا إمّا عَرَضْتَ فبلّغَنْ ندامايَ من نَجْرانَ ألّا تلاقيا

ومنهُ قول الله عزّ وجلّ (١ : « ممّا خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخلوا نارًا » . و « عمّا قليلٍ » (٢ . و « لمّا يَعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم » (٣ . وقول ابي ذؤيب :

أمّا لجنبيكَ لا يُلائمُ مضجعًا إلّا أقضَّ عليك ذاكَ المضجعُ
فأجبتُها أمّا لجسمي أنّهُ أَوْدَى بَنيَّ من البلادِ فودّعوا

فأمّا في البيت الاوّل هي « امْ » و « ما » وفي البيت الثاني « أنْ » و « ما » ففي ما (22r) بيّنّا من الحروف الموصولة بما دليل على ما لم نذكرهُ

٥ باب ما يُوصَل بِهِ من المُبهَمة وما يُفصَل منها

ومن الاسماء المبهمة الظروف التي توصَل بما وهي « أين وكَيف ومَتى » اذا لم تكن بمعنى الذي وجاءت مؤكّدة كقولهِ جلّ ذكرهُ (٤ : «أينما تكونوا يُدرِككُمُ الموتُ » . وقولك : « كَيفما تصنَعْ اصنَعْ . و « مَتى ما تأتني آتِكَ » فقصَّة « مَتى » في الوصل قصّة « حَتّى وعَلى والى » تُردُّ ألفُها وهو القياس . وذلك مثل قول الهُذَليّ :

مَتامًا أنتَ غيرَ زَهوِ الملو كِ أجعَلْكَ رَمْطًا على حُيَّضِ

الرّمط في هذا البيت جلدٌ تلبَسُهُ الحائض . فان كانت بمعنى الذي وزال معنى الجزاء فُصِلَتْ كقولك : « أينَ ما وعَدْتَنا » تريد الوقت الذي وعدتنا « وكيفَ ما قِبَلَكَ » تُريد الذي قِبَلَكَ . واذْ ما واذَا ما في المعنى لا في الخطّ مثلها لأنّ الذال لا تتّصل بما بَعدَها . واما حيث فيجب أنْ تُوصَل بِما على كلّ حال لانّ « ما » لا تكاد تقع بعدها مستغنيةً (23r) عنها . ويدلُّك على ذلك انّ قولك « حَيثُما شئت » بمنزلة قولك « حيث شئت » . ومنها من هذا الباب وانّما هي « مَا مَا » فالأولى اسم مُبهَم بمنزلة أين ومَتى . والثانية بمنزلة مَا التي بعد أين ومَتى وأُبدِلت الهاء من الالف

١) سورة نوح ٢٥
٢) سورة المؤمنين ٤٢
٣) سورة آل عمران ١٣٦
٤) سورة النساء ٨٠

استثقالا لتكرير الحرفين وصارت الكلمتان كالكلمة الواحدة . ولا تقع مهملة في غير المجازاة فلا تكون الّا موصولة . وفي ما ذكرنا من المبهمة دليل على ما لطلبه شذ منها

٦ ما يوصل من المتمكن بما وما يفصل منها

ومن الاسماء المتمكنة التي توصل بما « كلّ » . وذلك انّه اسم للاحاطة يؤكد به . فلمّا وقع في جميع الاشياء وكان تابعاً ضارع الظروف المبهمة وكثر مع ذلك استعماله فشبه بالأدوات من الحروف فاذا اعمل فيه ما بعده وجوزي به وكان ظرفا او ضارع الظروف وُصل كقولك : « كلّما جئتني اكرمتُكَ وكلّما سألتني اعطيتك » . وكذلك ان كانت ما لغوا نحو : « انت آكلُ من كلّما رجلٍ . وهي اجملُ من كلّما امرأة » واذا اعمل فيه ما قبلَهُ وابتُدِئَ به ولم تكن فيه مجازاةٌ ولا مضارعة للظروف (٢٣ ظ) ولا كانت ما لغوًا فُصِلَ كقولك : « كلُّ ما سألتني مبذولٌ لك . وكلُّ ما جئتني مرّتان . وكلُّ ما لكَ ألفانِ . ورضيتُ بكلّ ما صنعتَ . وقبلتُ كلَّ ما قُلتَ . ولك كلُّ ما عندي » . واما « مع » فانّهُ وان كان ظرفا لازماً له النصب فليس بمبهم لا صِلَةَ له ولا وقعتْ فيه مجازاةٌ وليست ما بعدهُ كالمُلغاة بل هي موصولة كالذي ومعَ مُضافٌ اليها فلا يجب وصلها بما ومن وصلَهُ لاضافته على التشبيه بكلّ لزمهُ وصلُ كلّ اذا كان لغير مجازاة ولا مضارعاً للظروف . واما « ايّ » فاشدّ مضارعة للمبهمة من كلّ لانهُ يُستفهم به ويُجازى به فيكون بغير صلة فوصلُهُ بما اوجبُ اذ لم يكن ما بمعنى الذي كقول الله جلّ وعزّ (١ : « ايّما الأجلين قضيتُ » . ولا توصل اذا كانت بمنزلة الّذي كقولك : « ايُّ ما عندك اجودُ » . وكذلك « بَيْنَا » التي للمفاجأة كقول الشاعر :

بَيْنَا يَعُدُّونَني أَبْصَرْنَني دُونَ قِيدِ الميلِ يَعْدُو بي الأَغَرّ

وقال الآخر :

بَيْنَما نحنُ مُرْتَمُونَ بِفَلْجٍ قالت الذُّلَّحُ الرَّوَاءُ آنِ آبِ

---

(١) سورة القصص ٢٨

توصلُ لأنَّ المفاجأة مضارعةٌ للمجازاة ولانَّ « ما » التي مع بَيْنَ التي (24ب) للمفاجأة تضارعُ التي في قول الشاعر :

فبينما يشري رَحْلَهُ قالَ قائلٌ لِسِتِّ جملٍ وَآخُرُ الملاطِ نَجيبُ

والالف لا تنفرد . فان كانت لغير المفاجأة لم يَجُزْ وصلُها كقولك : « بَيْنَ ما اقولُ وبينَ ما تقول بَوْنٌ » . واما « ما » التي مع « أَيْن » في قول الشاعر :

لُقَيْمُ بْنُ لُقْمانَ من أُخْتِهِ فكانَ ابنَ أُخْتٍ لهُ وابْنَما

وفي قول الآخر :

« فكنتُ لهُ أُما وكان لِيَ ابْنَما »

فانَّها ميمٌ مَزيدةٌ على « أَيْن » فلمَّا نُصِبَ الاسمُ لِحقَها النونُ التنوين فأشبهت « ما » . وهذا يُذكَر في موضعهِ ان شاء الله . فهذا قياس ما وصلتَ بِهِ من المتمكنة وفيهِ دليلٌ على ما لم نذكرهُ فافْهَم ذلك

٧ ما يُوصَل من الافعال بِما وما يُفصَل منها

ومِمَّا يُوصَل من الافعال بِما « نِعْمَ » و« بِئْسَ » لَمَّا كانا عبارةً عن كلّ مدحٍ وذمٍّ وغُيِّرا عن امثلة الافعال فَأُجريا مَجرى الأَدَوات ضارَعا الحروف ولم يقعا (24ب) ما بعدهما ايضا بمنزلة الذي وكانت نِعْمَ تُدغَم في ما في اللفظ كقول الله جلّ وعزّ (١) : « نعمّا يَعِظُكم بِه » وقالت العرب : « غَلَّهُ غَلًّا نِعمّا » فوجب وصلُها في الكتاب وان لم تُدغَم لِادغامها احيانا مع ما ذكرناهُ . وأُجريتْ « بِئْسَ » مجراها لأنَّها مثلُها في كلّ شيء ما خلا الادغام وذلك « نِعْمَ ما فعلتَ » غير مُدغَم . و« بِئْسَ ما فعلتَ » ولا يجوز ان يوصَل ما اشبهَهما من الافعال بِما كقولك : « حَسُنَ ما جِئتَ بِهِ . وعَظُمَ ما أَتَيتَ بِهِ » . ولا مثلُ « طَالَ يا » و« قَلَّ ما » وان سكنتَ اواسطها وكثُر في الكلام لأنَّهما لم يُغَيَّرا عن أَبْنِيتِها ولم يقعا عبارةً عن كلّ شيء وليس فيهما ما في « نِعْمَ وبِئْسَ »

(١) سورة النساء ٦١

٨ ما يوصَلُ بِمَنْ خاصَّةً وما يُفْصَل منها

واعلم انهُ لا يجوز ان يوصَل بِمَنْ شيء مما وُصل بِما لأنَّ « مَنْ » لا تكون حرفاً من حروف المعاني ولا تُلغى ولا تكون اسماً لغير ما يَعْقل ولم تكثر في الكلام كَثْرَةَ ما فلا يُكتَب بمثلُ « إنَّ مَنْ ولَيْتَ مَنْ ولَعلَّ مَنْ وكأنَّ مَنْ وكَيْف مَنْ وأيْنَ مَنْ ورُبَّ مَنْ وكلُّ مَنْ ومَعَ مَنْ وأيُّ مَنْ » (25r) الّا مفصولاً لما ذكرنا الّا ان يكون قبلها شيء من الحروف التي على حرفَيْن وآخرها مما يُدغَم في ما بعدهُ مثلُ « مِمَّنْ وعَمَّنْ » وانَّما ذلك للادغام. ولا يوصَل بها « كَمْ » وان أدْغمت في اللفظ لأنَّها اسمٌ ولأنَّها لم تكن توصل ايضاً بِما في قولك : « كَمْ ما عِنْدَكَ » لذلك ولئلَّا يُشبِهَ كافَ الجرّ اذا وُصلت بما. ولا تُوصل بها من نفسها اذا قيل « مَنْ مَنْ في الدار » فمَنْ وَصَلَ بِمَنْ « في » و « مَعْ » لزمَهُ ان يَصل بهما « رُبَّ وكُلَّا وايّاً ». ومن زعم انَّهُ يصل بِمَنْ في الاستفهام شيئاً من ذلك كقولك : « فِيمَنْ ترغب » على قياسِ « فِيمَ انتَ » فقد اخطأ لأنَّ النون لا تُحذَف في مَنْ للاستفهام كما تُحذف الفُ « ما » وليس يُشبِهُ هذا ذاك ويلزمهُ ان يفعل ذلك في « الى وعَلى » ونحوهما في الاستفهام مع مَنْ ولا يكتُبُ هذا احدٌ والصوابُ ما بيّنّا

٩ ما يوصَلُ بِلَا خاصَّةً وما يُفْصَل منها

وامّا « لَا » فتدخل على جميع الاسماء والافعال فتكون عاملةً فيها وغيرَ عاملةٍ ويكثر استعمالُها لذلك وهي حرفُ معنًى ايضاً ولفظُها كافظِ « ما » (25v) فهي توصل بأشياء وتُفصَل من اشياء. كما فُعِل ذلك بِما. غير انَّها لا تكاد توصَل الّا بالحروف خاصَّةً . فمن ذلك ان تقع بين « أنْ » الناصبة للفعل وبين الفعل كقولك : « أريدُ ألّا تَفعَلَ . وأسألكَ ألّا تَعُودَ » فهذه توصل بأنْ للادغام الذي يلحقُها في لفظها اذا وَلِيَتْها ولِما قدَّمنا ولأنَّها قد وقعت بين صلةٍ وموصولٍ ولأنَّها لا تثبتُ في الخطّ لأنَّها قد صارت لاماً وأُدغمت في اللام التي بعدها فهُما يُكتَبانِ لاماً واحدةً . فان وقعت بعد أنْ المخفّفة من الثقيلة فُصِلَتْ مما قبلها عاملةً كانت او غيرَ عاملةٍ كقولك : « قد علمتُ أنْ لا تَفعَلُ . وقد ظننتُ أنْ لا خَيْرَ عندكَ » لأنَّ المعنى

« انك لا تفعلُ وانَّهُ لا خير عندك » فالضمير في المعنى متّصل بأنْ حاجزٌ بينهما حتّى كأنَّهُ لا إدْغامَ معها ومنهُ قول الشاعر :

فَيا واكِيًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نَدامايَ من نَجْرانَ أنْ لا تَلاقِيَا

يجوز ان تكون مخفّفةً من الثقيلة وان تكون التي بمعنى أي وكلتاهما لا توصل. وكذلك هي توصل اذا جاءت بعد « كَيْ » لانَّهُ يُضمَر بينهما أنْ او تنوب كَيْ عنها في اللفظ فكأنّ لَا انَّما وُصلت بأنْ وذلك قولك : « جئتُكَ كَيْلَا تفعلَ » فامّا « لئلّا ولِكَيْلَا » فهما « ككَيْ » وان دخلت عليهما لام الخفض. ولا يجوز وصل « لا » بحتّى وان نابت عن انْ او كانت تُضمَر معها لطُول حتّى وانَّها انَّما (26) تدخل على الاسماء في الاصل ولو وُصلت بها لكُتبت بالالف فاجتمع شبهان. وتوصل لا بانْ الجازمة اذا وقعت بينها وبين الفعل المجزوم لأنَّ الجازم والمجزوم بمنزلة المضاف والمضاف اليهِ لا يُفصَلان وقد وقعت بينهما ولحقها الادغام فصارت مع ما قبلها كالكلمة الواحدة وذلك مثل قول الله جلّ وعزّ (١ : « إلَّا تفعلوهُ تكن فتنةٌ في الارض »

وتوصل لَا بهَلْ لأنَّ « هَلْ » بمنزلة ألِف الاستفهام وان كان على حرفين وقد لحقها في اللفظ الادغام ولأنَّ معنى الاستفهام بهَلْ مع « لَا » يؤولُ الى التوبيخ فكأنّهما صارا كلمةً واحدة تجيء للتوبيخ وذلك قولهم : « هَلَّا وانتَ شحيحٌ ». وقوم من العرب يصيّرون الهاء همزةً فيقولون « ألَا فعلتَ » في هذا الوضع ولا يقولون ألْ في هَلْ وحدها اذا لم يكن معها لا . وهذا يدلُّ على أنّهم جعلوها كلمةً واحدة ولكنَّهُ لا يثبت في الخطّ الَّا لامٌ واحدة كراهيةَ الجمع بين الشبهَيْن . ولا يجوز ان توصل لَا ببَلْ وانَّما أدغمتا في اللفظ لأنهما يجتمعان ولا يزول معناهما ولا يحدثُ فيهما معنى آخر ولأنَّ الكلام لا يُستأنف ببَلْ وانَّما تكون جواباً او بعد كلام قيلَ استعمالها وذلك مثلُ : « بَلْ لا يُكرِمون اليتيمَ »

واعلم انهُ لا يجوز ان يوصل بلَمْ شيء ممَّا وُصل بلا (26) وان أدغما في اللفظ لأنّها لا تدخل الَّا على الافعال المضارعة خاصّةً فلا يكثر استعمالها . ولأنَّ الميم

١) سورة الانفال ٧٦

لا تُشبه الالف اذ لم تكن من حروف اللين التي تلحقها العلة والحذف وغير ذلك . ومع ذلك انَّ ، لَمْ ، وما يلحقهـا لا يكونان كلمةً واحدة لمعنى يحدثُ باجتماعها وذلك مثل ، ابنْ لمْ تفعلْ لمْ افعلْ . وعلمتُ انْ لمْ يذهَبْ ، وكذلك سبيل ، لَنْ ، كقول الله جلَّ وعزَّ (١) : انَّهُ ظنَّ انْ لَنْ يَحُورَ . و ، قد ظننتُ انْ يَذْهَبَ ، . وعلى هذا قياس ما لم نذكرهُ من الامر لا

١٠ ما يوصل بحرف التَّنبيه وهو ها وما ينفصل منهُ

ومما يوصل بها التي للتنبيه في المواضع التي تحذف فيها الفها في الكتاب لتوصل كما تحذف من الكلام في قولهم ، هَلُمَّ ، لأنَّها اذا حذفت الفها صارت على حرف واحد . والحرف الواحد لا ينفرد فتوصل . وذلك مثل : هذا وهذانِ وهؤلاء . وهكذا . وذلك انَّ التنبيه لزمَ المبهَم وكثُرَ استعمالهُ معهُ حتَّى صار كالكلمة فخُفِّف في الكتاب كما خُفِّف في هَلُمَّ في الخطّ واللفظ . فامَّا هاؤلانك وهاذاكَ ، فلم تُحذف منها الالف في الكتاب . وتفسيرهُ يأتي (27٢) في موضعهِ ان شاء الله

١١ ما شذَّ من الموصول عن نظائرهِ

ومما شذَّ عن نظائرهِ فوُصل وحقُّهُ غير ذلك فجاز لعارض عرَضَ فيه ، وَيْ ، اذا وقعت قبل كأنَّ الثقيلة كقولهِ (٢) ، وَيكأنَّهُ لا يُفلِحُ الكافرون ، او قبل كأنَّ الخفيفة كقول الشاعر :

وَيكأنْ مَن يكنْ لهُ نَشَبٌ يُحبِبْ ومَنْ يفتقر يعِشْ عَيْشَ ضُرّ

وذلك لأنَّها قد كانت توصل بكاف المخاطبة في قولهم ، وَيْكَ ، لأن الكاف لا تنفرد فأُجرِيَتْ مع كاف الجرّ مجراها مع غيرها . وأبعَدُ من ، وَيكأنَّ ، وصلُهم ، وَيْلَمِّه ، يريدون ، وَيْ لأمِّه ، لمَّا حذفت الهمزة من الكلام تخفيفاً وصلوهُ في الكتاب ومثلهُ قول امرئ القيس :

وَيلْمِيها من هَوْاء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الارض مطلوبُ

(١) سورة الانشقاق ١٤ (٢) سورة القصص ٨٢

ومن ذلك وصلهم ما أضيف من اسماء الزمان الى « اذ » بها كقولهم « يومئذٍ وليلتئذٍ وساعتئذٍ وزمانئذٍ وحينئذٍ » وذلك ان « اذ » ليست (27) مما يُضاف اليه فهي وما قبلها « يُجعلان شيئاً واحداً بمنزلة خمسة عشر ويُبنى الاوّل منها على الفتح فتصير همزةُ «إذ» التي حقُّها التحقيق بمنزلة المتوسطة فتُكتب على حركتها يآء فلمّا كانت تُجعل في اللفظ بَيْن بَيْن وفي الخطّ يآء وصلوها. وقد وصل الكتّاب ما هو ابعد من هذا في كتبهم وذلك « ثلثمائة وستمائة » لمّا كانا عددا مضافا وكثر استعمالهما ولم يكونا ممّن يُعرَف او يُعطَف كخمس وسبع وصلوهما. وفعلوا مثل ذلك في حبذا لانهما كالكلمة الواحدة وهي نظيرة نعمَّا وبئسَا فاجروا «ذا» ههنا مجرى ما . ثم مما وُصل على الشذوذ في مع « يا » تشبيها بما يجب وصلهُ وقد كنا بيّنا امرهما. فهذا جميع ما يوصل او يُفصل . وقياس ما لم نذكرهُ هذا القياس ايضا

(انه صلة)

الحشرات الجرّاحة

نظر اخلاقي في طبيعة الحيوان للاب اسكندر طوران اليسوعي

وقف القارئ على ما خُص به الحيوان من الوهم والغريزة العجيبة في اصلاح حاله وتجهيز عشه واصطياده لطعامه وغذاء ذريته وحفظ نسله على مقتضى ما طبعهُ الخالق في كيانهِ دون علم سابق في الحيوان يؤدّي به الى غايته بل يجري عليه منذ ولادتهِ ويتصرّف بعمله هذا على موجب اطوار حياتهِ اذ يختلف وهم الحشرة وهي دودة عن وهمها في نشوئها وبلوغها وتوليدها كما يختلف ايضاً في جنسي الحيوان لأن غريزة الانثى تخالف غريزة الذكر فان هذا عادةً يعيش متنافلاً لا يكترث لأمور عشاره وربّما اعتدى متطاولاً على مادتهم او قضى ايامهُ في امتحاص الزهور وهو لا يدري عملاً كما ترى الزنبور بين النحل العاملات بخلاف الانثى التي تهتمّ بإعداد العش لنسلها وتزيينهِ بالطعام المناسب لهم منذ اوّل حياتهم او القيام بخدمتهم مدّة قصورهم

وقد اطرأنا قوّة هذه الغريزة وذكرنا شيئاً من عجيب اعمالها لكنّنا لم نستوفِ عنها الكلام ولم نكشف غير وجهٍ من خواصها . وها نحن نبيّن لك صورة أخرى من تلك الخواصّ لتتأكّد مبلغ علم الهوامّ الفطريّ الذي بكماله يغني عنها كلّ علم مكتسب ويثبت عمل الخالق فيها

واننا سنفرد هذه النبذة لمعاينة ما تفعلهُ الحشرات لتموين خلايا نسلها بقوتٍ يبقى زمناً طويلاً مخزوناً بلا فساد ريثما تستفيدهُ صغارها

وهنا مشكل كبير فانَّ الحشرة الصيّادة لا يمكنها ان تجعل في وكر صغارها صيداً حيًّا لئلّا يُفسد بيضها او يفترس نسلها عند ولادتهِ . وكذلك لا تستطيع ان تجعل في ذلك الوكر صيداً قتيلاً او ميتاً لانّهُ لن يلبثَ ان يبلى لحمهُ الطريّ وينتن فلا سبيل الى الاغتذاء بهِ بل يصبح سمًّا لآكلهِ . وليس كلامنا هنا على الحشرات التي تقيت صغارها يوماً بيوم كحشرة البمبكس (Bembex) اذ لا بأس أن تأكل صغارها ما اصابتهُ فقتلتهُ من الصيد قبل فسادهِ . وانّما نتكلم عن تلك الحشرات التي تخزن صيدها لمستقبل نسلها حين يفقس البيضة بعد موت الامّ بزمن طويل فيأكل ذلك الطعام المخزون لقوام حياتهِ . فكيف يبقى هذا الطعام دون فساد طول تلك المدّة وفيهِ العناكب والجراد والصراصر وضروب الدود وكلها معرّضة للفساد بزمن قليل ؟

هلمَّ نعتبر عملها فنقضي بهِ العجب

انَّ ارباب الجراحة اذا عمدوا الى اجراء عملية شاقّة في عضو من اعضاء جسم الانسان حاولوا تبنيجهُ لئلا يحسّ المريض بألم العملية وذلك اما بتخدير العضو واما بتنويم المريض والقائهِ في سُبات موقّت لا يخاف من بعض الخطر على حياتهِ . وربّما أصيب البعض بمرض التخدير الذي يعرّض صاحبهُ الى موتٍ عاجل . وعلى كلٍّ لم نسمع حتّى اليوم بجرّاح يستطيع ان يخدّر او ينوّم شخصاً مدّة عدّة اسابيع مع بقائهِ حيًّا صحيحاً

على انَّ ما لم يبلغ اليهِ بعد العلمُ الحاليُ نجدهُ في عدّة حشرات التي تفقهه دون ارتياب وممارسة منذ اوّل وجود جنسها على سطح الارض . وهذه الحشرات تستحضر مادّة مخدّرة تُشلُّ بها اعضاء فرائسها وهي تعرف كيف تحقنُ ما تصيدهُ من الهوامّ

كلّ صيدٍ على حسب طبيعته وذلك في عين النقطة التي تجتمع فيها الاعصاب المحرّكة للجسم وهي تُحسن مناسبة ذلك الحقن للغاية المقصودة بحيث يفقد المحقون كلّ حركة ظاهرة وكلّ حسّ دون ان يصيبه الموت ويبقى على تلك الصورة عدّة ايّام بل عدّة اسابيع واحشاؤه قائمة بوظيفتها فتفرز المواد المهضومة بل يستطيع الحيوان المُنج ان يمتصّ ما يُقرَّب اليه من الوانع على طرف قشّة صغيرة فلا شكّ انه يبقى حيّاً مع فقدان الحركة والحسّ

فيا للعجب كيف هذه الحشرات المعروفة عند علماء الطبيعة بهذه الاسماء بيلوپاي (Pélopée) وسكولي (Scolie) وسرسيرس (Cerceris) وسفكس (Sphex) واومان (Eumène) وغيرها يمكنها ان تقوم بمثل هذه الاعمال الجراحيّة دون ان تتعلّمها وهي تعرف ذلك منذ تحوّلها عن حالتها الدوديّة الى الطيران وتعلم به دون ان ترى احدًا مارسه قبلها . هذه الحشرات يوم بلوغها تطير في الفضاء فتجتمع بذكر من جنسها أبله جاهل واذا هي من العالم في مكان تعرف بكل تدقيق بناء عشها وتحتاط لنسلها بان تصيد له ما يلائمه من الحشرات وتصطادها دون قتلها بتخدير جسمها ثمّ تخزنها لوقت حاجة صغارهـا اليها . هذا ما نراهُ كلّ يوم من العجائب في هذه الهوامّ

دعنا نعاين بعض اختبـارات العلّامة الطبيعي فابر التي اثبت بها قدرة تلك الحشرات في فنّ الجراحة :

هذه حشرة السرسيرس العُـدديّة (C. Tuberculata) من فصيلة الهوام النشائيّة الاجنحة الشبيهة بالزنبور . وهي تصطاد حشرات غمديّة الاجنحة من نوع سوس القمح . فلنبحث اوّلًا عن عشها ثم نراقبها حين تجمع ذخيرتها فنحتال عليها لنطّلع على طريقة تخدير فريستها . ها هي ذا قد عادت من الصيد فتحطّ قريباً من وكرها ثم تسعى بجرّ فريستها المخدّرة لتودعها في مطاميرها . فلنتزع من ليديها تلك الفريسة ونجعل بدلًا منها دوديّةً مثلها غير مخدّرة فترى للحـال السرسيرس مضطربة قائمة تخدّ الارض بمخالبها فتلتفت يمينًا وشمالًا فلا تلبث ان تجد الدوديّة التي بدلناهـا منها فتثب عليها وتضمّها بين قوائمها . لكنّها وجدت تلك الفريسة حيّةً تقوى على المدافعة عن نفسها فهناك ابتدأت مبارزة موثرة ومأساة مفجعة انتهت بطرفة عين . فالسرسيرس

قامت في وجه فريستها وامسكت خرطومها بفكيها والزمتها الحضيض وهي تتبرعص تحتها لتنجو من فتكها لكن السرسيس قلبتها على ظهرها وضغطت عليها بقدمتيها بحيث تفرج عن بطنها ثم انكبت عليها وقربت بطنها من بطن الضريبة ووخزتها بحمتها المسمومة دفعتين او ثلاث دفعات في اعلى صدرها في مفرق قوائمها العليا والسفلى . فللحال أصيبت الدويبة بشلل تام وبقيت دون حراك كأنها صعقت فجدت تماما . وفي اثر ذلك قلبتها الغازية على ظهرها وركبت عليها قوائمها كالكلابة ونقلت بها الى فضاء الجو

قال المسيو فابر وكررت هذا الامتحان ثلاث مرات فما كانت السرسيس تحيد عن عملها ذرة . وقد فحصت الدويبات المصطادة بعد تخديرها او بعد ان نزعتها من عش صغارها فكانت اجدها سليمة الاعضاء طرية الجسم صحيحة الامعاء ناصعة الالوان ليس عليها اثر الموت وقد حفظت بعضها في علبة او ورق مدة شهر بخيف فلم تفسد ولم يؤثر فيها الحر فوجدتها بعد هذه المدة الطويلة سليمة صحيحة يمكن تشريحها كما تشرح الحشرات الحية بحيث ثبت عندي انها حية لا ينقصها سوى الحركة . فأخذني العجب كل مأخذ لدى نظري عملا قامت به حشرة السرسيس يشبه بل يفوق عمل الاطباء الذين يخدرون الاعضاء بالكلوروفورم والاثير كأن تلك الهامة واقفة على اسرار فن الجراحة فهي تعرف كل المعرفة تركيب الجهاز العصبي في الحيوان

قلنا ان السرسيس بتخديرها لاعضاء فريستها دون قتلها تشبه بل تفوق على الاطباء وذلك عين الحق . قل لي بزعاك الله لو قدمت الى الدكاترة الاختصاصيين بعض هذه الحشرات التي تصطادها السرسيس وطلبت منهم ان يخدروا اعضاءها دون قتلها فماذا ترى يكون جوابهم ؟ لا شك انهم يقولون ان الامر يحتاج الى درس خاص لجهاز تلك الحشرات والوقوف على اعصابها المحركة لجسمها ثم يجب استحضار بعض المركبات الكيموية المخدرة ثم محاولة الحقن بها وهم مع هذا لا يقطعون بنجاحهم في تخديرهم او بثبات ذلك التخدير زمنا طويلا

هذا ما يقوله اساطين الجراحة وشيوخ فن الطب . واين هذا العلم من عمل السرسيس فانها دون علم سابق ولا اختبارات اعدادية ولا ادنى ارتياب تجري

اعمالاً جراحيَّة لا يقوى عليها اكبر العلماء. فتميز في فرائسها المراكز المحركة التي يجب تخديرها فلا تخطئها البتَّة. واذا حقنت فريستها قدَّرت كميَّة البنج المناسبة لتخدير اعضائها دون سلبها الحياة. فهذا كلُّه يدلُّ على علم كامل مطبوع في كيان تلك الحشرة حصلت عليه في مولدها كما حصل عليه كلُّ افراد جنسها نالته من نعمة الخالق لحفظ نسلها. فهذا هو الوهم او قل الغريزة التي سبق لنا الكلام عنها وافرزناها عن العقل

وليست هذه الحشرة وحدها حاصلة على هذا العلم العجيب بل اثبتنا ذلك لحشرة السفكس في صيدها للافيبيجار الضخمة (الشرق ص٢١٣). ومن السفكس نوعٌ آخر اصغر الجناحين يصطاد الصرصور والذي هو اكبر منهُ حجماً باضعاف. فاذا صادهُ حطَّ بهِ قريباً من وكرهِ بعد تخديرهِ كما فعل السرسيرس ثم يجعل احد قرنيه بفيهِ فيسحبهُ الى باب الوكر. ثم ينزل الى الوكر ليعدَّ مكاناً للفريسة المقتنصة

قال المسيو فابر: فانتهزتُ فرصة غيبتهِ القصيرة فاخذتُ الصرصور المبنج وجعلتُ بدلاً منهُ صرصوراً حيًّا سالماً ثم انتظرتُ رجوع السفكس فما لبث ان خرج واذ رأى فريستهُ قد ابتعدت قليلاً هجم اليها ليقبضها. فوجَّهتُ بصري الى ما سيحدث لئلَّا يفوتني شيء من ذاك المشهد الفاجع. فرأيتُ الصرصور هلعاً يهرب قفزاً الَّا انَّ السفكس رهقهُ ثم ادركهُ ووثب عليهِ ثمَّ صرعهُ وجندلهُ على ظهره وركبهُ ثمَّ لقط بفمهِ احدى قرنات بطن الصرصور فقرَّب بطنهُ الى بطنهِ ومن ساعتهِ وخز بخسَّتهِ السامَّة اوَّلاً عنق الصرصور ثم مفصل جانبيَّ صدرهِ واخيراً جهة بطنهِ. فتمَّ العمل بلمحة العين واصبح الصرصور كانَّهُ قطعة جماد فبهذه الضربات الثلاث ادرك القاتل ثلاث مراكز من الاعصاب يبعد بعضها عن بعض فلم يخل بواحدة منها كابرع الجرَّاحين واحذق ارباب الطبيعة. فاين اين علومهم ناجتلب من علمه الغريزي الذي سبقهم اليه منذ الوف من السنين!

والعجب كلُّ العجب انَّ كلَّ حشرة من الحشرات الصيادة تجري عمليتها على حسب طبيعة فريستها فان السَّرسيرس المحاربة لسوسة القمح ولنوع البوپرست لا تجد فيها الا مركزاً واحداً من الاعصاب فتكتفي بوخز ذاك المركز الوحيد. وخزتين اما السفكس فانهُ يجد في الصرصور ثلاثة مراكز عصبية فلا يفوتهُ واحد منها الَّا يضربها بسهمهِ

فلنعتبر فريسةً ثالثة من نوع الدود التي يختلف تركيبها عن تركيب الحشرات الطائرة كالصرصور وسوسة القمح اذ هي تتركّب من عدّة حلقات متواصلة متشابهة لكلّ حلقةٍ منها مركز اعصاب فتبلغ تلك المراكز اثني عشر مركزًا. فهل يا ترى يدري بذلك صيّادها وهل يغرز حمّتهُ في كلّ مركز منها . وليس كلامنا عن تلك الدودة الصغيرة التي ليس منها خطر على نسل الحشرة الصائدة فانّها يكفيها وخزة واحدة لتخديرها ودفع ضررها وانّا نتكلم عن كبار الدود التي منها خطر على صغار الهامّة الصيّادة ألا وهي الحشرة المسمّاة بأمّوفيل (Ammophile)

اخبر المسيو فابر انهُ صادف يوماً هذه الحشرة تحفر بقوائمها الارض حول نبات فعرف انها تبحث لها عن دودةٍ تصطادها فوقف يراقبها ليشبع نظرهُ بصيدها لفريستها . وفي الواقع بعد هنيهةٍ كشفت عن دودة كبيرة اسرعت الأمّوفيل فامسكتها من رقبتها بشدّة بحيث لم تستطع الدودة ان تتملّص من قبضتها . واذ تمكّنت منها وامتطت ظهرها اخذت تقرّب منها حمّتها الواقمة في بطنها فجعلت تغرزها بكل هدوء ونظام كما يفعل الجرّاح بمبضعهِ في كلّ خرزة من خرزات جسمها دون ان تغفل عن واحدة منها مباشرة باعلاها الى اسفلها حتّى جمدت كلّ اعضائها ونقلتها الى وكرها

ولعلّ القاريء يسأل كيف تستطيع هذه الحشرات الصيّادة وكثيرة ما هي ان تهاجم هوام ذات مخالب شائكة واسلحة طبيعيّة نافذة كالنتيس (Mantis) المسلحة بجوارح قويّة والعناكب المجهّزة في افواهها بكلاليب سامّة تذيق الموت اعداءها وغيرها ايضاً ممّا لم تبخل عليها الطبيعة بعُدد تصونها نفسها من سهام معاديها؟ هذا عين الحقّ الّا انّ للحشرات الصيّادة ايضاً وسائل لردّ غارات تلك الهوام فتحمي ذاتها من ضرباتها ثمّ تناجزها القتال حتّى تنفث فيها سمّها المخدّر لاعضائها دون قتلها لتقيت بها صغارها مع تقدير الزمان اللازم لبقائها حيّةً

فهذه مثلاً حشرة تصطاد النحل تُدعى فيلَنت (Philanthe apivore) لكنها تقدّم لنسلها ذلك الطعام كلّ يوم بيومهِ فلا تخدّر صيدها تخديرًا قويًا وانّا تكتفي برشق سمّها تحت حنكها مرّة واحدة . ومثلها البنبكس التي تُطعم ذرّيتها طعاماً يوميًا بما تصطاد من القمع والذباب . امّا الصيّادة المدعوّة كاليكرغ

(Calicurgue) التي تُطارد المناكب الكبار السامّة فلئلّا تُفيق عليها بكلاليبها الجارحة تمجُّ اوّلاً في فمها نقطاً من بَنجها واذا نجت من فَتكها تصد الى بقيّة مراكزها العصبيّة فتخدّرها

ومن هذه الصيّادات النوع المعروف بالسكولي(Scolies)الذي يتصيّد حشرات غمديّة الاجنحة كالجعلان يدعونها سيتوان(Cétoines) فهي تبحث عنها في الارض واذا نفشت فيها سنّهـا تقيس بين فعله والغاية المقصودة منها وذلك انّها تبغي لواليدها طعاماً لا يفتذون به الّا بعد الشتاء فلا بُدَّ ان يبقى مريئاً طيّباً . وقد اخرج المسيو فابر من تحت التراب بعض هذه الموالد المصطادة التي كانت الامّ ألصقتها ببيضها قبل تقفّصه فنزع ذلك البيض وحفظ السيتوان المخدّر فبقي عنده تسعة اشهر دون ان يَفسد الّا انّهُ كان معدوم الحركة

فترى كيف انّ وَهم هذه الحشرات وعلمها يختلفان على حسب غاية كلّ واحدة منها وحاجات صغارها . فانّها مع خلوّهـا من العقل والادراك لا يفوتها شيء من الاعمال الآئلة الى تغذية ذراريها وحفظ جنسها الى ما شاء الله

ولا يسعنا ان نختم هذا الفصل بكلام الطف وابلغ ممّا كتبهُ المسيو فابر في آخر وصفهِ الجميل لهذه الحشرات الصيّادة حيث قـال : هذا ما لحظتُهُ بتأنٍّ وهدوء كما يقتضيهِ البحث العلميّ المدقّق . انّ حشرات الصيد الغشائيّة الاجنحة تجري عمليّاتها الجرّاحيّة بضبط ودقّة يحسدها عليهـا العلماء وهي تعرف ما يجهلهُ الانسان غـالباً تعرف الجهاز العصبيّ الذي تتركّب منهُ فريستها وتعدّد ضرباتها على عدد ما فيها من مراكز الاعصاب . قد قلتُ «انّها تعلم وانّها تعرف» وكان الصواب ان اقول «انّها تباشر اعمالها كمن يعلم ويعرف» لأنّ تلك الاعمال فطريّة تمارسها تلك الحُيَيوانات مدفوعة اليها بالوهم . ومن اين لهـا يا ترى تلك الغريزة أمن الوراثة الجدّيّة ام من الانتخاب الطبيعي او من تنازع البقاء كما يزعم الدروينيّون واصحاب مذهب النشوء والارتقاء ؟ - لا لعمري فانّ اقوالهم لا سند لها . امّا انا فانّ نتيجة دروسي ومراقباتي الطويلة المتعدّدة قد اثبتت لي بلا ريب انّ اعمـال تلك المخلوقات الحالية من العقل انّما هي صورة ناطقة بحكمة ذاك الاله الذي يدبّر العالم ويرشد بسُنَن وَحيهِ الحيوانات غير الناطقة الى الغاية التي قصدها منها . واذ كُنت اردّد في عقلي هذه الحقيقة التي

كان يرقها يخطف ابصاري ترقرقت في عيني دموع تأثيري العميق لتلك الحكمة غير المتناهية رب الكون ومدبر المخلوقات سبحانه وتعالى ! (١)

النوابغ او كبار الرجال

بحث فلسفي اجتماعي لحضرة القس اوغسطين يرمرجي البغدادي

تعريفهم وحقيقة وجودهم

ليس بالعسير على من أُلقِيَ مُزاولة علم التأريخ أَن يقف على حقيقة بادية لعيني كل ذي بصيرة أَلا وهي تحققهُ انه في كل عصر وزمان وبين كل شعب وأمة وفي عهد كل مملكة ودولة قد ظهر فريق من الانام فاقوا عامة معاصريهم بما أَبدَوهُ من الذكاء العجيب والقريحة الوقادة والارادة المحكمة وذلك من فضل ما اتوه من الآلاء السنية والمنح البهية فبزغوا في سماء عصرهم شموساً ساطعة واقماراً نيرة مما خلد اسماءهم في صحف التأريخ ورفع لهم أعلام الفخر والذكر الطيب على مر الازمان والأدهر . وهؤلاء هم الذين سعوا في توسيع نطاق الاجتماع وبسط الحضارة وتأسيس المدن الفسيحة الارجاء وتأليف الممالك العظيمة وتقريب الابعاد وتيسير المواصلات وترقية الجمعية في معارج النجاح والفلاح والكمال

وفي رأسهم اولئك الذين انصرفوا في حياتهم الى اشرف ما في الانسان اي الى النفس فأقبلوا عليها مهتمين وكان إسعادُها دينهم وتهذيبُها دَيدنهم . ومنهم خدام الدين الآخذون على عاتقهم امر الارشاد وتحريض الورى على التقوى وعمل الخير ومسالمة العباد . وفيهم الفلاسفة والجهابذة الدائبون في البحث والتنقيب والاستدلال والتدوين غايةً منهم اخراج البشر من دياجير الجهل الى نور العرفان . وبينهم زمرة

---

(١) اطلب كتابهُ

Fabre : Souvenirs Entomologiques : *1re Série . p. 230 et passim*

الاطباء الساعون في صيانة البدن من الاسقام الطارئة عليه بكشفهم اسباب الادواء وملافاتهم اياها بالعلاجات الشافية . وفي طبقتهم المشترعون العظام اصحاب القوانين والدساتير الشهيرة . وفي عديدهم الحكام والقضاة والفقهاء الباسطون العدل والمحافظون على الحقوق . وفي جملتهم الملوك والسلاطين الكرام والقواد والامراء الشجعان والمحامون عن البلدان والاوطان والساسة المتحكمون والمخترعون الحاذقون والمكتشفون الماهرون وكل الذين اشتهروا بالاقبال على الامور العالية المناط بها خير الجمهور

تلك هي الحقيقة المنجلية لعين المؤرخ الحذق ليتتبع سياق الحوادث الجارية في كل عصر من الاعصر وعندها يقف مبلغ علمه . اما المفكر المدقق المتوخي ادراك الامور بعللها والعالم بان لا مسبَّب دون مسبِّب فتراه لا يلبث عند منتهى علم التأريخ بل يسعى الى ما وراءه باذلا جهده في سبْر هذه الحقيقة بقياس الاصول الفلسفية ويغوص في اعماق دركاتها مستنيرًا بنبراس القواعد الاجتماعية قصد العثور على ضالته المنشودة باطلاعه على سرّ تفوق كبار الرجال ونبوغهم وتمكنه من كشف المعمّى عن سبب نفوذهم واستيلائهم على اهل زمانهم

آراء الفلاسفة في مالهيتهم وتفوذهم في النفس البشرية

نبوغ كبار الرجال كما تقدم هو حقيقة تاريخية لا يختلف فيها اثنان . اما تعليله فلقد كان ولا يزال شغلا شاغلا للفلاسفة والمفكرين . فطالما قالوا فيما اذا كان النابغة هو وحده ومن ذات ما ازدان به من سمو الذكاء وعضاء العزم قادرا على الاستيلاء على اهل زمانه مما يمكنه من قلب الاحوال من طور الى طور والاخذ باعنة الامور وقيادة الالفة الاجتماعية حسب رايه الخاص ومشيئته المطلقة . ففي حلّ هذه المسألة قد تضاربت آراء الفلاسفة شأنها في غالب المسائل . فهناك فريق اثبت اطلاقًا وثمّ فريق انكر بتاتًا

فالموجبون هم اولئك الذين يذهبون الى ان النوابغ هم هم ولا غيرهم العلة الوحيدة لكل ما قد حازه الجنس البشري من الكمالات على اختلاف اصنافها وان تاريخ البشرية عامّهُ وخاصّهُ قديمهُ وحديثهُ إنْ هو بالحقيقة الّا تاريخ كبار الرجال

لانهم كانوا وهم اليوم ارباب العالم وقادة الورى واساتذة البشر لا بل زد على ذلك وقل ان كل ما بذلهُ القوم من النفس والنفيس والغالي والرخيص في سبيل مسا قد حصلوا عليه من المحسنات فالنوابغ وحدهم كانوا مبتكريه وجالبيه وماتحيه . وقصارى الكلام ان كل ما قد يبدو لاعيننا في العالم من نافع وشهي ولذيذ ما هو سوى نتاج قرائح كبار القوم ونوابغهم وتحقيق ما دار في خلدهم من الافكار المثلى والنيّات الفضلى

اما المنكرون فهم المبالغون في الحطّ من قدر ارباب القرائح القائلون بان لا حظّ للرجل الكبير بذات نفسه من كل ما يُعزى اليه من الكمال وحسن مزايا وخصال وانهُ ليس في شيء ممّا قد تسمو به الالفة من تقدُّم وتمدُّن وعمران وانما الفضل كلّهُ للمجتمع الذي يؤثر فيه تأثيره البالغ . على ان النابغة يولد وينشأ ويتدرج بين ظهراني مجتمع من المجتمعات محصور ومحدود فيه للوراثة والتربية والموائد والاخلاق العوامل الكبرى ممّا لا بدَّ ان يفعل في تكوّن قريحة ذاك الرجل ونموّها وتدرجها . فتراه قبل ان يتمكن من العمل والتصرف في مجتمعه قد سبق المجتمع عينه فطبع فيه اثرًا بليغاً . فاضحى معلول التطور قبل ان يكون علّتهُ . وان هو سعى في العمل بين قومهِ فلا ذريعة له لاجرآء ذلك سوى عمدهِ الى الوسائل التي تضعها بين يديه الألفة عينها . وعليه فلا يكاد أثر النوابغ يكون شيئاً يُذكر وان كان هناك شيء ذو شان فهو محصور في قدرتهم لفضل ما فيهم من الذكآء على سبق غيرهم في الوقوف على ميل الافكار وتطوُّر الاحوال ونزعات الاقوام مما يمكنهم من اعلان اسباب مجاري الامور ويساعدهم على اتباعها . فتفضلهم الوحيد ان كان ثمَّ فضل لا يزيد على فضل الروابي التي لارتفاعها تتلقى انوار الشمس البازغة قبل ان تستنير بها الوديان

الحكم الصواب في ذات عمل النوابغ وقدر فوزهم في الالفة

غير خاف على اللبيب ما في هذين الرأيين من التطرّف الفاحش وكيف انهما على طرفي نقيض امّا الحقيقة التي من شأنها الاعتدال فقائمة في وسطهما لا تحيد عنه

قدر ذرَّة وها نحن نتَّبع الكلام رغبةَ الوقوف عليها فنبحث اولًا عن طريقة اعمال الروابغ بذاتهم ثم عن كيفية تأثير تلك الاعمال في المجتمع الانساني

انَّ اعمال الروابغ اعمال بشريَّة صرفًا وطريقة مزاولتها لا تتعدَّى الطرائق البشرية بدليل المبدأ القائل : تجري الصنائع مجرى الطبائع . على ان ارباب القرائح مهما فاقوا في المزايا وتفرَّدوا في الخصال فلا يخرجون عن حيِّز البشرية والَّا لتغيَّر كيانهم . فلا يزالون اذًا بشرًا في طبعهم ومن ثمَّ في مزاولة اعمالهم

وكلٌّ يعلم ان في مقدِّمة افعال الانسان افعالهُ العقليَّة اذ الانسان انسانٌ بنفسه العاقلة حسب قول الشاعر :

لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرفٍ من الانسانِ

وتُعرف النفس بافعالها والافعالُ النفسانيَّة على ثلاثة أضرُب وهي : الشعور والتعقُّل والارادة . ولا بدَّ لكل من هذه الافعال قوَّة تصدر عنها

مقرَّر ان النفس جوهر تامّ مستقلّ بذاته روحانيّ مجرَّد عن المادَّة والتركيب ومبدأ عاقل فعَّال عامل بالذات حرّ بذاته متصرف في اعماله الادبيَّة . بيد ان هذه النفس متَّحدة بالجسم اتحادا جوهريًا تامًّا يجعلها مفتقرة اليه في ابراز بعض افعالها اعني في ادراكها الجزئيات

(فالشعور) لا يتمّ الَّا بواسطة الحواسّ التي بها يحصل فعلها الاول . والحواس على ضربين : حواس خارجية وعددها خمس : السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس وحواس باطنة وهي ايضا خمس : الحسّ المشترك والخيال والقوة الوهمية والمتخيِّلة والحافظة

وادراك النفس للمحسوسات يكمل بالحواس الباطنة امَّا الحواس الخارجة فهي آلة للباطنة . والشعور يفترض ثلاثة امور وهي الاول : وجود سبب مؤثر في الخارج وهو الجسم الذي يقعُ على احد الحواس الظاهرة فيطبع فيها صورته . الثاني : وجود آلة او حاسَّة خارجة في الجسم تنقل ذاك التأثير او تلك الصورة الى الداخل على طريق الاعصاب المختصة بكل واحدة منها . الثالث : وجود قوة باطنة تدرك ذاك التأثير او تلك الصورة اي تشعر بها . ومن ثمَّ فلا يتمّ فعل الشعور الَّا بانتقال صورة

المحسوس مفرداً معيّناً بصفاته . وهذه الصورة لا تحوي شيئاً من الجسم البتّة . وقد سُمّيت حسّية لان النفس لا تستخدم في ادراكها سوى الحواس

اما (التعقّل) وهو فعل النفس الثاني فيه تنتقل النفس من المحسوسات الجزئيّة الى المعقولات الكلّيّة فتعرف الشيء لا بصورته الفرديّة الجزئية الظاهرة كما هو الشأن في الشعور بل بماهيّته وخواصه الذاتية التي يقوم بها . ويحدث ذلك بعد ان تكون الصورة الحسّية قد عبرت على طريق الاعصاب من الخارج الى الدماغ مركز الحس المشترك . وهناك تطالعها النفس وبقوتها الوهمية تدرك معانيها الجزئية وبمخيّلتها تتصرّف بها بالتركيب والتفصيل وتقيس بعضها على بعض قياساً حسيّاً لا دخل فيه بعد للعقل لما هو معلوم من انّ موضوعهُ الكليّات . على انه مقرّر انّ المعرفة لا تنجز الّا بوجود المعروف في نفس العارف . فما الحيلة والنفس روحانية غرضها الكليات والمثل الخيالية جسمانية هيولية جزئية ؟ الحيلة هيّنة على النفس لما فيها من تلك القوة المفكّرة التي تتصرف بالمثل المفردة الحسّيّة فتجعلها مطلقةً كليّة بحيث يصير المحسوس الجزئي معقولاً كليّاً . وهذه القوة المتصرفة يقال لها العقل الفاعل او القوة المجرّدة ويسمّى فعلها تجريداً . وهي تختلف غاية الاختلاف عن القوة الشاعرة كما ان فعلها فعل التجريد يتميّز غاية التميّز عن الإدراك الحسّي كتميّز الصور الفكرية عن الصور الحسّية

اما موضوع معرفة العقل البشري بنوع عام فهو الوجود المطلق وموضوعها الخاص طالما النفس تبقى متحدة بالجسد هو الذوات غير المادية الكائنة في الموجودات المحسوسة المادّية . وهذه الكائنات لا تخلو وهي في حال التركيب من ان تكون اما جواهرَ او اعراضاً . ولا بدّ من ان تكون متّصفة بكم وكيف وزمان ومكان وفعل وانفعال ونسبة اضافية وهي كلها صفات عامّة لها دخل في تكوين الكائنات يدركها الانسان لاوّل وهلة بالبديهة كما انه بهذه القوة عينها يدرك الضروريات . وفي جملتها الاوّليات والمشاهدات والحسّيات والوجدانيات والفطريّات والمجرّبات . وهذه المبادئ الكلية مع الموجود المطلق الراجعة اليه هي ركن معارف الانسان الاولية وعليها مدار عقله وهي العامل الاول في كل افعاله . وعند وقوفه عليها لا مندوحة له للعدول والاعراض عنها شاء ام ابى وذلك لما بينها وبين العقل من المطابقة التامّة

بيد اننا نجد من ذاتنا ان العقل لا يقف عند هذا الحد من الكمال بل ان فيه خاصّة غير تلك وهي انه لا يكتفي بادراك صور المعقولات او الافكار ادراكاً بسيطاً فقط . بل يبلغ منه ان يتصرف بها مقابلاً بعضها ببعض ومثبتاً بقوة حكمه تارةً تناسُبها وطوراً تنافرها . ثم ينتقل بالاستدلال من البديهيّات الجليّة الى النظريّات الخفيّة . وبالقياس من نظريات معروفة الى نظريات مجهولة . وبهذه الطريقة يتوصل الى كشف الحجاب عن مخدّرات الحقائق النظرية وتوسيع نطاق المعارف والعلوم الاكتسابية

(الارادة) ومن الامور التي لا يشوبها ريب ان لكلّ موجود غايةً يتّجه اليها وهي مقصد قواه وافعاله فللانسان اذاً وهو من اشرف الموجودات غايةٌ يتوخّى بلوغها ولا يتجه اليها بمحرّك خارجي يدفعهُ الى عمله بل بقوة داخلية تحركهُ الى افعاله يقال لها الارادة . على اننا قد اسلفنا القول ان الانسان يدرك الكليات بعقله والجزئيات بحواسه . ولذا لزم ان يكون فيه ارادة عقلية تدفعه الى السعي وراء الخير الكلي وارادة حسية تحملهُ على استحصال الخير الجزئي . ومن هنا ينجم ان الانسان يحب ما يراه خيراً ملائماً له ويكره ما يجده شرّاً مضرّاً به . بيد ان هذا الحب وهذا الكره ينشآن فيه عن اختيار ورضى وحرّية مطلقة فيجد من نفسه انه ربُّ افكاره واشواقه وافعاله .

وفعل الارادة هذا يفترض أمرين : اولهما ان يدرك العقل الخير اولاً . ثانيهما ان تقصده الارادة وترغب فيه اذ لا يراد الشيء الّا بعد عرفانه . وبذلك تستدلّ على ان الارادة قوة عمياء لا تدرك شيئاً من ذاتها ما لم تر العقل مدركهُ فهو دليلها الى الخير الذي تسعى وراءه فاذا ظهر لها الخير الكامل اندفعت اليه كل الاندفاع لوجودها فيه ما يملأ كل اشواقها ويشفي ويبرّد غليل هيامها فلا يبقى لها رغبة البتة في خير آخر بعد حصولها عليه . واذا ظهر لها الخير الجزئي فلا تميل اليه ميلها الى ذاك الاول لخلوّه من ملء ما تشتهيه . وان وجدت فيه بعض الارتياح فلا تقصد بذلك اتخاذها اياه غايتها القصوى بل تجعله سبيلاً لخير غيره وذريعةً لنيل ما فوقهُ وتبقى حرّة في شأنه مخيّرة الانعطاف نحو غيره ولذا ترى الانسان لا يتمالك نفسه من السعي وراء السعادة التي هي الخير الاعظم المطلق لا تردُّد له في قبولها ولا اختيار له في

العدول عنها . واما اذا وجد خيراً جزئياً او حسنة من الحسنات تردَّد في قبولها لا بل رفضها اذا رأى ان غيرها افضلُ منها

وجملة القول ان الارادة تميل ميلاً كلياً دون تردد كلّما رأت الخير الاعظم او السعادة . واما الخيرات الجزئية فميلها اليها يزداد بازدياد معرفة العقل لتلك الخيرات واشتداد الملاءمة بينها هي الارادة وبين الخيرات المذكورة

مزية النوابغ في اعمالهم البشرية

هذا هو منهاج العمل عند البشر عموماً وعند اهل الذكاء خصوصاً مع ما بين الفريقين من عظيم التفاوت في درجاته . على ان تلك القوى وتلك الافعال حسيَّة كانت او عقلية او ارادية قد تبلغ في النوابغ مبلغاً من الكمال تقصر كل القصور عن الوصول اليه في من سواهم . فمن حيث الشعور ترى الداهية مزداناً بكل ما يقتضي له من حاسات ظاهرة او باطنة ولا سيَّما ما يتعلَّق بالسمع والبصر خارجاً وبالحافظة والمخيلة داخلاً مما يفترض فيه بدناً حائزاً كل الصفات المقوّمة لكيانه من بنية قوية واعضاء متناسقة وعضلات متينة ودم غزير زاخر يتدفَّق من قلب ملؤهُ الحياة واعصاب شديدة منتبهة ودماغ واسع مما يجعل هذا الجسم لائقاً لخدمة القوى العليا وقادراً على الثبات تحت وقر اعمال النفس العقليَّة . اما نفس النابغة فحدِّث عن سموها ورقيها ولا حرجَ فانها كاملة الخواصّ مزدانة بقوى عجيبة من عقلية شأنها التجريد والاستدلال والقياس . وارادية يقوم فعلها في توخي الغاية والبحث عن دواعي العمل والذرائع المقتضى اتخاذها للفوز بالمطلوب . وهذا مما يفيدك عن الملاءمة التامَّة الواجب وجودها بين نفس النابغة وجسمه . اذ ما الفائدة من وجود آلة بديعة القوام وهي الجسم الكامل الصفات بين يدي فاعل عاجز جاهل اعني به النفس الجامدة الخاملة ؟ واي خير يُرجى من وجود فاعل حاذق ماهر وهو النفس الراقية في يده آلة ساقطة معيبة اعني الجسم النحيف الهزيل العليل . ولذا لله درُّ فيلسوف النصرانية القديس توما الاكويني من قائل : « من شأن الابدان البديعة الكيان ان تنضمّ اليها نفوس سامية الذكاء والعرفان »

وسمو هذه القوة العقلية في نفس النابغة انما يتوقف على ان صاحبها يدرك

الامور بعضاء فكر آية في بابه ويتمّ ذاك الفعل بخفّة يُقضى لها العجبُ العجاب . فانه يرى حالاً وبلحظة عين ما في المقدّمات القياسية من النتائج الجمّة التي لا تستخرجها العامّة الّا بعد العناء الجسيم والزمن الطويل . وكافي بفعل تعقّله هذا لا يُعدّ بعد من قبيل التجريد والاستدلال والقياس بل ضرباً من النظر المحض او البديهة وكافي بجميع الحقائق النظرية البعيدة الغور العسرة الاستقصاء ليست الا بمثابة مبادئ اوّلية يحيط بها عقل النابغة علما وذلك بمجرد القاء النظر عليها

والسرّ في هذا النمط العجيب من الادراك قائم في هذا الامر وهو ان الانسان من ذات طبعه قد وُجد في سلّم الكائنات وسطاً بين البهائم العجماء والارواح المنفصلة المحضة . بيد ان الناس وان كانوا مشتركين في النوع فلا تستوي فيهم المدارك . فادنى مراتب البشر متصلٌ بالبهائم وهم اوطأ درجة في تجريد الافكار عن الخواص الحسية . والذين اوسطهم مرتبة فالمجرّدة فيهم اقوى وافعل بيد انها شديدة البطء في العمل . واما ذوو الذكاء الوافر وهم اهل المرتبة العليا فالمجرّدة تسمو فيهم سموا عجيباً وتنفذ نفوذاً بليغاً مما لا تحسب بعد معه في شيء من القوة المتعقلة بل ضرباً من البديهة . فترفع بذلك اصحابها من طبقات البشر وتقرّبهم الى طغمات الارواح الملائكية

وشأن ارادة النابغة شأن عقله فانها تسمو سموّه وتنفذ نفوذه وذلك لما قد عُرفت به من السَّيْر على خطواته والاستنارة بمصباح نوره البديهي ممّا يجعلها قادرة على ان تقف بسرعة غريبة على الغاية المقصودة والطرق المؤدية اليها فتجنح اليها كلّ الجنوح دون تردّد بل بعزم وحزم مكين . وكما ان الروح البسيط يعزم بحرّية واختيار ودون توقّف ولا مراجعة فالنابغة الجدير بان ينزّل منزلة الارواح ينوي عازماً ويُقدم عاجلاً

وصفوة القول ان النابغة يأتي اعماله بطريقة بشرية اعني بالشعور في امر قوة حسّه وبالتجريد والاستدلال والقياس في شأن عقله وبالمراجعة والمفاوضة فيما يتوسط بارادته . اما الذي يفرقه عن غيره فهو هذه المزية وهي انّ في وُسعه ان يقبض من ساعته وبخفة عجيبة على ناصية الحدّ الاوسط من القياس ممّا تضطرّ النتائج معه الى الانقياد اليه خاضعةً صاغرةً . وفي قدرته ايضاً ان يكشف القناع عن الوسائل

العناية فيعمد اليها بعزم وإقدام . وهذا هو السرّ في نبوغه بين امثاله وهذا الذي يفرده عنهم ويخفضه ببعد النظر وغريب البداهة ومضاء العزيمة مما يجعلهُ جديرا بان يلقّب بكل صواب بالحساس الانبل والعاقل الاكمل والجازم الأمثل

أثر النوابغ في احوال زمانهم

قد عرفنا من هم النوابغ وما هي مزيّة اعمالهم بحدّ ذاتهم . فما القول بعد الذي رأيناه في قدر فعلهم وتأثيرهم في تطوّرات مجتمعهم؟ للجواب عن ذلك جواباً شافياً لا بدّ لنا من تمهيد

معلوم ان الزمان في تطوير دائم يتقلّب من حال الى حال فلا يُعرَض له قرار مع المحافظة على كيانه الجوهري الاساسي . وتبيانهُ انه اذا كانت الامة البشرية مؤلفة من افراد كثيرة كان شان المجتمع شأن الفرد في باب المعرفة والعلم . على اننا قد تقدّم لنا إفاضة الكلام في ان عقل الفرد اذا وقف بازاء موضوع معرفته وهو الحق لا يخلو من ان يكون على حالين : اولها حال اضطرار وثانيهما حال اختيار . فحاله حال اضطرار عند ادراك الموجود المطلق وما يرجع اليه من المبادى الضرورية . وحالهُ حال اختيار عند استدلالهِ عن الموضوعات النظرية . هذا ما يجري عند الفرد وهو عينه جارٍ في المجتمع لكونهِ مجموع افراد البشر . وعليه ترى اولئك الافراد على الاطلاق جامعي الراي اضطرارًا على التسليم بالامور الاولية في كل صنف من اصناف علومهم ومعارفهم نظريّة كانت او عمليّة فلسفية او طبيعيّة اجتماعيّة او سياسيّة . واما الامور النظرية التي تحصل بالقياس بعد العناء وشحذ القريحة فتتضارب فيها اقوالهم وتتلاكم آراؤهم . والسبب في ذلك ان العقل سواء اعتبر في الفرد ام في الجمعية لا يدرك من تلك الحقائق الّا وجها من الاوجه مما يبقى معه حرًا في الاتجاه او الانفصال عن اي وجه من اوجهها . وهذا هو السرّ في تولّد الاراء التي تسمّى مذاهب اذا نُسّقت وبقيت نظريّة ويُطلَق عليها اسم طرائق اذا وُضعت في العمل . زد على ذلك ان الطرائق اذا تمكنت في الالفة وتنازعت وغالبت بعضها بعضاً نشأ التطوّر . واذا نضج التطور كانت عاقبته الانقلاب على اختلاف انواعه سواء كان ذلك في عالم العلم او الاجتماع او السياسة

فاذا عرفت هذا زدناك علماً انَّ للنابغة أثرًا جليلًا في كل انقلاب يحدث في العالم . وهذا يطلب شرطين وهما ان يكون للداهية ارادة صادقة لإجراء ذلك الأثر وان يجد من ذاته مقدرة على اتيانه

امَّا قصد النابغة للتأثير في احوال عصره فانهُ ينشأ في صدر النابغة لوقوفه على عيوب مجتمعهِ وما احراه بذلك من غيره اذ قد تحقَّقنا فيه من سمو الطريقة في استطلاع سرائر الامور . وما اجدرَه ان يرى رؤية جليَّة ما قد اعترى جيلهُ من الشوائب والعصائب والآفات ممَّا يحصل له معه صورة واضحة عن الحال المعاكسة المرغوب فيها لمجتمعهِ

زد على ذلك انهُ اذ كانت الارادة كما سبق الاثبات ميَّالة الى الخير الذي يقدِّمه لها العقل فعند ما يدرك النابغة بتوقُّد ذهنه حالة زمانه السيئة او الناقصة ويقف بديهاً على ما يقتضي عملهُ لإصلاح حال قومه وترقيتهم ونقلهم من طور مضرّ الى طور يتوسَّم فيه الخير لهم ترى لارادة هذا الرجل ذي النفس السامية والهمَّة العالية تندفع اي اندفاع الى تلك الغاية المتوخَّاة مائلة اليها ميلًا هذه شدَّته حتى انها لا يقرّ لها قرار ما لم تفزْ بذلك الخير المشتهى . فالنابغة اذًا هو مَن سعى غاية السعي وبعزم وإقدام لا يل بشوق وهيام الى ازالة ما يجدهُ في جيله من عيوب ونقصان وجلب ما يعرفه جزيل الفائدة وكبير العائدة للجمهور

بيد اننا لنحيد عن محجَّة الصواب ان اتَّبعنا اصحاب الراي الاول فعزونا قوة ادراك تلك الامور وقصد اجرائها الى النوابغ وحدهم دون غيرهم لان الامر الخاصّ بهم بمعزل عن سواهم هو تفوقهم المذهل في الوقوف على تلك الشؤون وإقدامهم العجيب على اتمامها وهذا ما يصدق فيه ارباب الرأي الاول . امَّا الموضوع الذي يفعل فيه عقلهم وتؤثر فيه ارادتهم فهيئته لهم المنشأ الذي وُلدوا فيه والامَّة التي عاشوا في وسطها والتربية التي تهذَّبوا طبقًا لاصولها والمعارف التي تلقَّنوها . وفي هذا المعنى قد اصاب اصحاب القول الثاني

امَّا ما يتعلق بشان مقدرة النابغة على اجراء ذلك الانقلاب فاعلم ان ليس لارباب القرائح في ذلك الامر قدرةٌ شاملة ولا سلطة مطلقة . اجل اننا لا نجحد ان لهم في مثل تلك الاحوال من التأثير ابلغهُ ومن النفوذ اعظمهُ ممَّا يوعلهم الى دفع الجمهور الى ما فيه الخير وذلك بفضل ما أوتوه من مضاء الفكر وقوة استطلاع كنه الامور

وشدّة الغريزة ودراية التوسّل بالذرائع الملائمة فيصبحون بذلك الركن الاساسي للعمل والمحرّك الاوّل لانشاء المشاريع الكبيرة وتدبير الشؤون المهمّة . بيد انهم ليسوا في شيء من ذات ما عندهم في استنباط وابتكار ما يحملون قومهم عليه ويسيرون بهم اليه لكون موضوعه قد اتاهم من فضل الكمالات المكتسبة قبلا والكامنة في المجتمع وفي احوال الجمهور العقلية والادبية والاجتماعية والسياسية

خلاصة المقال

النتيجة الشاملة الجديرة استخراجها من هذا المقال كلّه هي ان النوابغ فئة من البشر قد أنعم عليهم من العلاء بمواهب طبيعيّة اضافوا اليها مزايا اكتسابية جعلتهم يفوقون اهل عصرهم في مزاولة اعمالهم فازدانوا من البدن بأقواه واكمله ومن النفس بأبهاها وأسماها ومن الشعور بأدقّه وارقّه ومن العقل بامضاه واثقبه ومن الارادة باحكمها واحزمها فكانوا ولا يزالون في كل عصر آية الله في خلقه وذلك باحاطتهم بأغوص الامور وابعدها غورًا ممّا عجزت العامّة عن نيله وتمكّنوا من نقل الالفة من حال سيّئ الى حال صالح ومن حال حسن الى احسن فجاراهم في ذا السبيل قومهم وانقادوا اليهم عن رضى وارتياح لما توسّموا فيهم من الكفاءة لتحقيق ما كانوا هم بذاتهم يدركونه ادراكاً ناقصاً ومبهماً ويسعون في اقتنائه بارادة واهنة

وعليه يكون النوابغ ائمّة في الامّة وقادة في الالفة لا متحكّمين فيها متصرّفين بشؤونها تصرّف المتسيطر . فان القدرة ومطلق السلطان لله وحده ربّ الكائنات يتصرّف بها كما شاءت أحكامه الازلية وكلّ البرايا جمادها مع نباتها حيوانها مع بشرها وملائكتها خاضعة لسلطانه طائعة لأمره الذي لا مردّ له يعين محدّدًا اعمالها دون فرق بين اضطراريها واختياريها طبقاً لعنايته الصمدانية . له الملك والقوة والجبروت وله الحمد والشكران الان وفي كل آن

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السابع

في الخطابة النصرانية بين عرب الجاهليّة

بعد كلامنا عن المفردات النصرانية في لغة عرب الجاهليّة واعلامها وامثالها وحكمها يقتضي ان نبيّن نفوذ هذا الدين بينهم بما هو ادلّ على آدابهم . وليس اكثر دلالةً على ذلك من فنّ الخطابة

قد افتخر العرب في كلّ اجيالهم بمقدرتهم على البلاغة والتبسّط في الكلام وقوّة العارضة حتّى انّهم لجهلهم آداب ما سواهم من الشعوب كاليونان والرومان نسبوا الى قومهم الامتياز بفنّ الخطابة دون سواهم . ومهما كان من الصحّة في هذا الادّعاء، لا مراء في انهم عُرفوا في كلّ آن بذلاقة اللسان وطلاقة الكلام

فيا ترى ماذا كان مبلغ نصارى العرب في هذا الفنّ وهل بقي شيء من آثارهم المنبئ ببلاغتهم الخطابيّة بين اهل جلدتهم

فقبل الجواب على هذا السؤال لا بُدّ من تقديم ملحوظتين: الاولى انّ ما بلغنا من خطب عرب الجاهليّة لم يُجمع الّا بعد الهجرة بمدّة مديدة فدوّنه الرواة في القرن الثاني للاسلام. فمن البديهي انّ كثيرًا من تلك الآثار الخطابيّة قد ضاع بطول الزمان وآفة النسيان او لم يبلغنا منه الّا نُتَف قليلة لا تكفي لأن نبني عليها الحكم الصواب في مقدرة نصارى العرب على القاء الخطب

الملحوظ الآخر انّ الرواة الذين رووا تلك المقاطيع كانوا من اهل الاسلام لا

يهمّهم كثيرًا الاشارة الى دين خطباء العرب في الجاهليّة وكلّهم في مظنّتهم من اهل الشرك لا يختلف في عرفهم النصرانيّ عن اليهوديّ او الوثني

فلم يبقَ لكشف القناع عن الحقيقة الّا ان نجري على الاستقراء والدلائل التي سبق لنا جمعها في الفصول السابقة للتمييز بين النصارى والمشركين واثبات ما يمكن استخلاصهُ لبيان علمهم بالخطابة فنقول :

معلوم انّ الخطابة على اختلاف اغراضها من تثبيت ومشورة ومشاجرة على قسمين كبيرين دينيّة ومدنيّة . وفي كليهما آثار باقية تدلُّ على امتياز النصارى فيهما على عهد الجاهليّة وأوّل ظهور الاسلام

١ الخطابة الدينيّة بين نصارى عرب الجاهليّة

بيّنا في فصول مطوّلة سبقت لنا في القسم الاوّل من هذا الكتاب كم كانت النصرانيّة منتشرةً في انحاء العرب فتتبّعنا كلّ جهات جزيرتهم واثبتنا استنادًا الى المؤرخين القدماء من يونان ورومان وسريان معاصرين ثم عرب كتبوا بعد الاسلام بقليل . هذا فضلًا عن الآثار الحجريّة في الحيريّة والآثار الفنيّة المختلفة . فان كان الامر كذلك يلزم القول بانّ الخطابة الدينيّة كانت شائعةً بين تبعتها لأنّ الديانة النصرانيّة تنتشر عادةً بالتعليم الشفاهي اذ قال السيّد المسيح لرسلهِ (متّى ٢٨ : ١٩ — ٢٠) : « اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم ... وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتُكم بهِ » فلا يجوز استثناء المبشرين بالنصرانيّة بين العرب من هذه القاعدة . ولا سيّما انّهم كانوا شيّدوا بيَعهم كنائس عديدة واقاموا لهم اساقفة وكهنة وشمامسة كما قرّرنا ذلك بالشواهد . وهؤلاء كلّهم في مقدّمة واجباتهم الارشاد والخطابة في عقائد الدين ليرسخوها في عقول رعاياهم ويثبتوها للخوارج والطالبين التديّن بالنصرانيّة . فليت شعري ماذا بقي من تلك الآثار الطيّبة والخطب او الميامر . ولا ننكر انّ اللغة الكلدانيّة كانت في بعض جهات العرب الكلدانيّة او اليونانيّة الّا انّهُ كان للغة العربيّة حظّها ايضاً في النواحي التي كان اهلها من اصل عربي محض كاليمن والحجاز وبين عرب المدر الساكنين في الحيم حيث كان يسكن بينهم اساقفة يتنقّلون معهم في مناجعهم كما صرّحت الآثار الكنسيّة والمجامع الدينيّة بذلك ودوّنّا اقوالهم

ومما عرّض الى الفقدان تلك البقايا الجليلة انّ الخطّ العربيّ الذي علّمهُ النصارى لاخوانهم العربَ كما أيّدنا ذلك بالشواهد لم يكن بعد انتشر انتشاراً كافياً ليحفظ ذلك القلم الحديث كنوزهم الادبية . ولمّا جاء الاسلام اتجهت الافكار الى الدين الجديد وجعلوا القرآن الكلّ في الكلّ افوز ذويهِ بقبائل العرب

هذا مُجمَل ما يقال عن الخطابة الدينيّة النصرانيّة ولكننا لم نيأس من التقاط بعض الحبوب من تلك السنابل المحصودة وبعض الفتات من تلك الموائد الفاخرة . فمن ذلك خطيبٌ دينيّ شاع اسمهُ في بطون بلاد العرب وانجادها اجمع كلّ اهل البادية من حضر ومدر على انهُ كان آيةً في البلاغة الخطابيّة نُريد بهِ قسّ بن ساعدة الذي يدلّ مجرّد اسمهِ على نصرانيّتهِ وضُرب بهِ المثل في اساليب البيان . ولو لم يكن في جزيرة العرب غير قسّ اشتهر في البلاغة والخطابة لكفى النصارى بهِ فخراً . امّا ما يؤثر عنهُ تأييداً لهذه السمعة العظيمة فأسطر قليلة رويناها في كتابنا شعراء النصرانيّة (ص٢١٢ — ٢١٣) وهناك اخبار رويناها على علّاتها تثبت رفعة مقامهِ بين العرب لكنها لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً . وكذلك اخبارهُ المرويّة عن كتبة العرب فانها اقربُ الى اساطير الاوّلين وخرافات الاقدمين فيقول الرواة هناك انهُ ادرك زمن بقايا الحواريّين ورأسهم سمعان الصفا وانهُ عاش ستّمائة بل سبعمائة سنة (ص ٢١٦) وانّهُ بشّر بمجيء نبيّ المسلمين وانّ محمّداً رآهُ في سوق عكاظ يخطب على جمل له اورق (راجع الشرشي ٢ : ٢٧٥) واشياء أخرى اقرب الى الخرافات منها الى صحيح الروايات . ولعلّهم اصابوا بقولهم انّهُ « كان اسقفاً على نجران وانهُ كان زاهداً بالدنيا يلبس المسوح ويتبع السياح على منهاج المسيح » وكذلك قولهم انهُ « كان يتّكئ على عصا في خطبهِ » فان اساقفة النصارى يمسكون في ايديهم عكّازاً وهم يخطبون (لا سيفاً كما روى البعض) . وخلاصة الكلام انّ قسّاً كان خطيباً مصقعاً أثّر كلامهُ البليغ في قلوب العرب حتّى نسبوا اليهِ من الاقوال والاعمال ما يردّهُ النقد الصحيح ولا يقبلهُ الذوق السليم . وها نحن نروي ثلث خطب من خطبهِ فانّنا ذكرُها في شعراء النصرانيّة لا تصديقاً لصحّتها بل اعلاناً بتناقلهُ العرب عن قسّ غثّاً او سميناً وهذه الخطب وجدناها في التذكرة الحمدونيّة (نسخة باريس الخطيّة ص ٨٤)

أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر والجود سرور والمعرفة كنز والجهل سقم والعجز ذلة والحرب خدعة والظفر دول والايام عبر والمرء منسوب الى فعلهِ مأخوذ بعملهِ فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستشروا الجد تفوزوا به وتدعوا الفضول يجاوبكم السفهاء وأكرموا الجلوس يسر ناديكم وحاموا عن الحقيقة يُرغب في جواركم وأنصفوا مَن آنفكم يرفق بكم وعليكم بمحاسن الاخلاق فانها رفعة وإياكم والاخلاق الدنيَّة فانها تضع الشرف وتحدم المجد

(خطبة) ايها الناس شارفوا ابصاركم في كرّ الجديدين ثم أرجعوها كليلةً عن بلوغ الامل فان الماضي عظة للباقي ولا تجعلوا المرور سبيل العجز فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما اسلفتم . ايها الناس امس شاهد فاحذروهُ واليوم مؤدب فاعرفوهُ وغداً رسول فاكرموهُ وكونوا على حذَر من هجوم القدَر فان اعمالكم تطلق ابدانكم والصراط ميدان يكثر فيهِ الشار فالسالم ناجٍ والنابرُ في النار

(خطبة) اتقوا عباد الله وانتم في مَهل بادروا الأجل ولا يغرّنكمُ الامل فكأن بالموت وقد نزل فشغلت المرء شواغلهُ وتركت عنهُ بواطلهُ وهيأت اكفانهُ وبكاهُ جيرانهُ وصار الى المنزل الخالي يحمده البالي قد فارق الرفاهية وحامن (كذا) الداهية فوجمهُ في التراب عفير وهو الى ما قدَّم فقير

هذه كما ترى حكمٌ اكثر منها خطب . والعجب انَّ الكتبة السريان المعاصرين الذين استفدنا من تواريخهم عدَّة اخبار عن العرب لم يأتوا بذكر قسّ بن ساعدة على انَّهم ذكروا خطيباً آخر وكاتباً بليغاً اشتهر بالكوفة في القرن الاوَّل من الاسلام وكان اسقفاً على نصارى الكوفة وعاقولا، يُدعى برجس اسقف العرب . فهذا كان متمنقاً في درس كتب اليونان ونقل قسماً منها كاورغنون ارسطوطاليس وكتب شروحاً على الاسفار المقدَّسة ولهُ عدَّة خطب وميامر لم تزل بين مخطوطات عواصم اوربَّة كلندن وباريس ورومية يتَّضح منها ما اتَّصف بهِ برجس اسقف العرب من العلم والبلاغة في الخطب الدينيَّة . على انَّ هذه الآثار كلَّها لم تبلغ الينا الَّا بالسريانيَّة . ومن المحتمل انَّ عربيَّتها ضاعت فبقيت ترجمتها السريانيَّة . كانت وفاة برجس المذكور في اواخر القرن الاوَّل للهجرة

وممَّن يجب نَظْمهم في سلك خطباء النصرانيَّة اولئك السيَّاح والرهبان الذين تكرَّر ذكرهم في الشعر العربيّ المرويّ سابقاً فانَّهم لم ينقطعوا فقط الى الصلاة والزهد بل كثيراً ما كانوا يختلطون بالعرب ويدعونهم الى نبذ اديانهم الباطلة ويرشدونهم الى الصلاح بالخطب والمواعظ . كما ورد في تراجم البعض منهم كالقديس هيلاريون والقديس افتيموس بين عرب الشام والقديس برجنيوس رسول عرب

اليمن وموسى رسول الغسّانيين وغيرهم كثيرين سبق ذكرهم . فينبغي لذن القول بان الخطابة النصرانيّة الدينيّة قد ازهرت بين العرب كما ازهرت بين غيرهم من الامم وان لم تبلغ الينا صورتها بسبب آفات الزمان وكوارث الحدثان

٢ الخطابة المدنية بين نصارى الجاهلية

ان كانت الآثار الدينيّة من خطب نصارى الجاهليّة الباقية الى عهدنا نزرة قليلة فكان أملنا في جمع مآثرهم المدنيّة اعظم لكأنّ الرواة بما هو اقرب الى اخلاقهم وافكارهم . الّا انّهم ما رووهُ منها لا يكاد يستحقّ الذكر او هو فصول حكميّة ليست خطباً وُضعت للإقناع والإقناع كما لا يخفى هو غاية الخطيب ومحور الخطابة

ولكن اذا كانت الخطب المرويّة لا يكاد يُعبأ بها انّا نجد في مآثر العرب ما يثبت شيوع الخطابة بين القبائل النصرانيّة . واوّل هذه القبائل واقدمها قبيلة اياد التي روينا اخبارها واثبتنا تنصرّها (ص ٧٥ — ٧٦ و ١٢٤) عن عدّة كتبة . ومنها كان قس بن ساعدة الايادي المارّ ذكرهُ . فاياد هذه نسب اليها قدماء العرب البراعة في الخطابة لنا على ذلك شاهد حسن في مديح الشعراء لاياد وذكرهم لخطبائها منها قول الشاعر في وصف خطيبهم :

يرمون بالخطب الطوال وتارةً وحي الملاحظ خيفةَ الرقباء

وصفهم بتطبيق خطبهم على مقتضى الحال تارةً بالطول والتصريح وتارة بالوجازة والكناية والاشارة . وقال احدهم يرثي ابا دوّاد بن جرير الايادي :

نعى ابنَ جريرٍ جاهلٌ بمُصابهِ فمنْ نزارًا بالبُكا والتحوُّبِ
نعاهُ لنا كالليث يحمي عرينَهُ وكالبدر ينشى ضوءَهُ كلُّ كوكَبِ
واضربُ من حدّ السنان لسانهُ وامضى من السيف الحُسام المشطّبِ
زعيمُ نزارٍ كلّها وخطيبُها اذا قال طأطا وأسَهُ كلُّ مُشغبِ
سليلُ قرومٍ سادةٍ ثم قالةٍ يبزُّون يوم الجمع اهلَ المحصّبِ
كقسّ اياد او لقيط بن معبدٍ وعذرةَ والمنطيق زيدِ بن جُندُبِ

فأثنى الشاعر على ابي دوّاد الايادي واطرأ بلاغتهُ في الخطابة ثمّ ذكر اربعةً غيرهُ كلّهم خُطباء وكلهم من اياد . ذكر لقيط بن يَعمُر الايادي الذي انذر قومهُ

غزوَ كسرى لهم وارسل اليهم قصيدتهُ العينيّة التي هي خطبةٌ بليغة حاكت في صدورهم فنجوا من عدوّهم . ومنها قولهُ :

أبلغ ايادًا وخلِّلْ في سُراتهمِ ... انيّ أرى الرأيَ إن لم أعصَ قد نصَعا
يا لَهف نفسيَ ان كانت امورُكمُ ... شتّى وأحكمَ امرُ الناسِ فاجتمعا
ألّا تخافونَ قومًا لا ابًا لكمُ ... اسوا اليكم كامثالِ الذّبى سُرُعا
ما لي اراكم نيامًا في بُلهنيةٍ ... وقد ترَوْنَ شهابَ الحربِ قد سطعا
صونوا جيادَكمُ واجلُوا سيوفكمُ ... وجدّدوا للقنيّ النّبلَ والشّرعا
يا قومِ لا تأمنوا ان كنتمُ غُبُرًا ... على نسائكمُ كِسرى وما جمعا
وقلّدوا امركمْ فتىً درِبتْ ... رحبَ الذراعِ بأمرِ الحربِ مُضطلعا
لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ ... فاستيقظوا انّ خيرَ العلمِ ما نفعا
هذا كتابي اليكم والنذيرُ لكم ... لمن رأى رأيهُ منكم ومَنْ سَمِعا

وهي طويلة بليغة . وفيها كما ترى كلّ صفات الخطابة الجاهليّة . وقد ذكر في مطلعها بيَع قومهِ النصارى

اما الخطيب الثاني المذكور فهو عُذرة بن حجرة الخطيب الاياديّ الذي وصفهُ الشاعر وشبّههُ بقس بن ساعدة بقولهِ :

فانّك ضحّاكٌ الى كل صاحبٍ ... واخلقُ من قسٍ غداةَ عُكاظها

لكنّ آثارهُ الخطابيّة مجهولة . ومثلهُ زيد بن جُندب المنعوت بالمِنطيق اي الخطيب المفوّه البليغ فانّ خطبهُ لم تبلغ الى يدنا . ويروى عنهُ انهُ كان خطيباً وشاعرًا معاً

وكما اشتهرت اياد في الخطابة بين قبائل العرب كذلك قرنوا بها قبيلة تميم وهي ايضاً من القبائل التي غلبت عليها النصرانيّة كما دلّت اليهِ كتبة العرب (راجع الصفحة ١٢٦ من كتابنا) . فمن خطبائهم اكثم بن صيفي بن رباح التميمي . قال ابن نباتة في كتابهِ سَرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (ص ١٢) انهُ « اشهر حكّام العرب في الجاهليّة وحكمائهم وخطبائهم » وقد جمعوا من كلامه حكماً وامثالاً ووصايا لقومهِ منها قولهُ :

يا بني تميم لا يفوتنّكم وعظي ان فاتكم الدهرُ بي . يا بني تميم ان مَصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن سلك الجدَدَ أمن العثار . ولن يعدم الحسود ان يُتعب فكرهُ ولا يجاوز ضرّهُ نفسهُ والسكوت عن الاحمق جوابهُ . . . .

ومن اقوالهِ ما اوصى بهِ اولادهُ ليقوا متحدين وضرب لهم مثل السهام المجتمعة :

كونوا جميعاً يا بني اذا اعترى خطبٌ ولا تتفرّقوا آحادا
تأبى القداحُ اذا اجتمعنَ تكسُّرًا واذا افترقنَ تكسّرت أفرادا

ومن خطباء تميم الذين ذكرهم العرب في اواخر الجاهليّة واوائل الاسلام عطارد ابن حاجب والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وعدُّوهم من اكابر السادات وبلغاء الخطباء. وذكروا دخولهم على نبي الاسلام وكلامهم بحضرته (اطلب الاغاني ٤ : ١٠ — ١٢) وهو لا يدلُّ على كبير امر لا لفظاً ولا معنًى اذ لم يدوّنهُ كاتبٌ وقت القائهِ وانّما روي بعد نيّف ومئة سنة. ويصحّ هذا في اساقفة نجران الوافدين على محمّد كما ذكرهم ابن سعد وصاحب الاغاني وغيرهما . فلا يمكننا ان نبدي حكماً في عارضتهم نظرًا للقليل المصنوع المروي عنهم. وكذا قل ايضاً عن بقيّة خطباء العرب الذين اشتهروا بالخطابة فبقيت اسماؤهم وضاع كلامهم. واثبت قولنا انّ الخطابة النصرانيّة دينيّة كانت او مدنيّة بلغت في الجاهليّة مقاماً رفيعاً شهد لهُ التاريخ وان فُقد معظم آثارها (لهُ بقيّة)

مناعي آل الوطن في اثناء الحرب

نظر عمومي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

كما أشعرنا الموت بمخاسبه المؤلم اذ ضرب في زمن الحرب العموميّة العدد العديد من رؤساء الكنيسة وجلّة الاساقفة ونخبة الاكليروس القانوني والكهنة كذلك بسط ساعدهُ وبطش باعمار الالوف من المواطنين من اهل العالم من الاعيان وارباب السيف والقلم وذوي الصلاح والاحسان لم يفرز بين المليك والمملوك والغني والصعلوك والصغير والكبير فكانت مناعي القوم تتوارد علينا تترى لا تكاد ترقأ العين من دموعها ويبدأ القلب من روعاتهِ. وكان بودّنا ان نخصّ الجميعَ بالذكر لكنّ الصحائف الطويلة لا تستوفي باسمائهم. فاخترنا بعض الذين وقفنا على لمّع من تاريخهم مباشرين اوّلاً بالوجوه والمحسنين . ثمّ نذكر بعض ضحايا الاتراك وشهداء الوطن ثمّ الادباء والكتبة ثمّ الاطبّاء. ونختم بذكر قوم من ذوي البرّ والصلاح وكلّ ذلك بوجيز

الكلام بمقتضى المقام ونشكر هنا كل من تلطفوا فافادونا شيئاً عن المرحومين مخصّ منهم بالذكر الشيخ فيليب دي طرّازي والكاتب الاديب جرجي افندي نقولا باز وجناب رزق‌الله افندي أيوب الحلبي وحضرة المسيو بشاره شمالي والاب سليمان غانم - ولا شكّ في انّنا يفوتنا كثير ممن يستحقّون ذكرًا اذ لم نحصل على شيء من اخبارهم . وسنذكر الذوات الآتين على حسب تاريخ وفاتهم

١ الوجوه واصحاب الخير المحسنون

﴿ ابرهيم سعد ﴾ ولد في الشام سنة ١٨٥٣ وجاء بيروت بسبب حادثة سنة الستين وعاش فيها عمره مشتغلًا بالصناعة والتجارة مهتمًا بمساعدة البائسين معتنيًا بخدمة الجمعيات ومناصرة الاعمال الخيرية وهو مؤلف جمعية القديس بولس الرسول لمساعدة الكنائس وانشاء المدارس في لبنان وقد سعى بتشييد عدة كنائس لملّتهِ الروم الاورثدكس وشيّد من ماله الخاص كنيسة في محطة بحمدون وتجاوزت احساناته السنوية في اواخر حياته الخمسة والثلاثين الف غرش على ان ثروته متوسطة وعائلته كبيرة توفي في ٧ كانون الاول ١٩١٤

﴿ اندره مركوبولي ﴾ احد اعيان حلب الشهباء ورجالها المعدودين . كان قنصلًا لدولة البرتغال وقضى حياتهُ قدوةً صالحة لكل مواطنيهِ . كان المسيو اندره عريقًا في الدين محبًّا لأهلهِ يساعدهم بكل ما امكنهُ لاسيّما الاجانب منهم لم يكلّ عن ذلك طول حياتهِ فيتوكلّ بسائر امورهم متفانيًا في خدمتهم نخصّ منهم بالذكر الآباء الدومنيكان كان يقوم بكل حاجاتهم بنشاط عجيب وكانت دارهُ العامرة منزلًا يكرم فيهِ مثوى ضيوفه المتواردين اليهِ . وقد عُرف المسيو مركوبولي برحمتهِ نحو الفقراء والمحتاجين وقد نجّى كثيرين من مخالب الموت خصوصًا عند وقوع القحط والغلاء ففتح مخازنهُ بكل كرم لجميع المبؤوسين . توفي رحمهُ الله مأسوفًا عليهِ من كافّة الحلبيين في ٣١ ك٢ سنة ١٩١٥ . ومن خصال الفقيد حبّهُ للعلم وبحثهُ عن الآثار القديمة جمع منها قسمًا صالحًا وقد خلّف مكتبةً عامرة . وكان للمسيو اندره ولد وحيد يشبه اباهُ بحسن شمائله فاغتالتهُ المنون وقصفت غصنهُ الرطيب في ٦ آذار سنة ١٩١٨

وقد سبق الى دار البقاء المسيو اندره اخوه المسيو جورج المتوفى فجأة في ١٩ آذار سنة ١٩١٣ وكان قنصلاً في الشهباء لدولة اسبانية - جارى اخاهُ بجملتهِ الدينيَّة ومروءته وكرم نفسهِ وحرصه على فعل الخير الى القريب والذبّ عن الضعفاء وحبّ الآداب . وقد توفي ابنهُ سيلفير في ربيع شبابه في ٢١ نيسان سنة ١٩١٧ وكان احسن فرع لأطيب دوحة . تُبكى عليه وعلى ابن اخيهِ الآمال لثبات وترقي محلّ اسرة ماركوبولي التجاري الشهير البعيد الاسم . رحمهم الله جميعاً واجزل ثوابهم

﴿ يوسف اندريا ﴾ من افاضل موارنة الشهباء ومشاهير رجال الخير كان يجاري آل مركوبولي بمزاياهم الحسنة كحبّ الدين وملازمة كلّ فرائضهِ وحبّ القريب والسخاء بمالهِ الخاصّ نحو ذوي البأساء لا يثنيهِ شيء عن مساعدتهم وذلك بصورة خفيَّة مستكفاً عن ثناء الناس . وكان ذا الكلمة النافذة في المجلس الطائفي المقام لادارة اوقاف الموارنة فأحسن نظارتها . ومن مبرَّاتهِ التي تُذكر فتُشكر انشاؤهُ هيكلين في كنيسة مار الياس المارونيَّة في حلب وقد صرف مبالغ كبيرة لترصيف ارضها بالرخام الاسود والابيض مع ترصيف ساحتها بالبلاط الابيض اليابس وكان اشترط على رؤساء الكنيسة ان لا يُذكر اسمهُ . توفي هذا الرجل البارّ في ١٤ شباط سنة ١٩١٦ ودُفن في جانب الهيكل الذي ابتناهُ على اسم القديس الرسول اندراوس

﴿ المركيز موسى دي فريج ﴾ استأثرت بهِ الرحمة الالهيَّة في ١٧ ايَّار ١٩١٦ بعد حياة قضاها في خدمة الوطن وجيهاً مكرَّماً لدى الخاص والعام . كان المركيز موسى درس في مدرستنا في غزير واتقن فيها اللغات ومبادئ العلوم . وقد كان في كلّ حياتهِ محبّاً للخير مساعداً للضعفاء متشبثاً بأهداب الدين وهو من اعضاء اخويَّة الحبل بلا دنس وجمعيَّة مار منصور . وساعد في زمانهِ على النهضة الادبيَّة في الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة . ولهُ فصول وخطب وقصائد طُبعت في مجموعها . وقد اشبعتهُ قرينتهُ المصونة مدام الكسندرينة فريج باعمالهِ الخيريَّة فسعت باسعاف الفقراء واليتامى والجمعيَّات الخيريَّة وهي كريمة البارون فون ڤكتكر قنصل النمسة في بيروت وكان اخوها من حاشية الامبراطور فرنسوا جوزف . ونجلها المركيز جان رضيع محامد والديه الحسنة

﴿ توفيق بشاره ﴾ هو ابن جناب المهندس بشاره افندي من طائفة الارمن

الكاثوليك توفي في ريعان الشباب في ٨ حزيران ١٩١٦ وعمره ٢٩ سنة . لمتاز كاخويه ادمون واوجين بذكائه وبراعته في الاشغال العمومية والمشروعات النافعة لصالح الوطن وكان مع ذلك مثالاً للشبان بحسن آدابه وتدينه

﴿ اسكندر بك الحداد ﴾ وقعت ايضاً وفاته في السنة ١٩١٦ كان بارعاً باللغة التركية فارسلته الدولة العثمانية قائقاماً الى حجين في قيليقية . وصار قائقاماً على زحلة . وكان في عهد رستم باشا متصرف لبنان رئيساً على القلم التركي

﴿ خليل يارد ﴾ شقيق وجيه قومه بشاره افندي يارد توفي في ١٧ ايار سنة ١٩١٧ . كان على جانب عظيم من التقوى شأن اسرته الكريمة منتظماً في اخوية الشبان في كليتنا التي كان احد خريجيها المتازين في اول سني تأسيسها . وكان لطيف المعاشرة يقضي اوقاته في الاشغال التجارية ومطالعة التآليف التاريخية والعلمية . وكان يحب زيارة الفقراء ويحسن اليهم سخاء

﴿ الشيخ عبد الرزاق البيطار ﴾ من كبار السادة المسلمين في دمشق . كان مولده سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وتوفي في ١٠ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ (ك ٢ ١٩١٧ م) امتاز بين عموم اهل وطنه بجده في تحصيل العلوم الدينية والادبية ولاسيما العلوم العصرية من تاريخ وادب وهيئة . وتفرد بمعرفة الموسيقى العربية . وقد حظينا غير مرة بزيارته وتمتعنا بانسه وطيب اخلاقه . وكان الشيخ حر الافكار وكثيراً ما قاوم ارباب الخرافات والخزعبلات الشائعة بين مسلمي الغيحاء كما صرحت به مجلة المنار (٢١ : ٣١٢) وقد خلف بعض التآليف اخذها كتابة المعنون بجلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، وهو سفر ممتع نتمنى ان يمثله اهله الى الطبع قريباً

﴿ الشيخ عبد الرحمان الحوت ﴾ ودع ايضاً الحياة في هذه السنة ١٩١٧ وكان نقيب اشراف بيروت معروفاً في الثغر بفضله وحبه للسلام وغيوراً موقراً من الجميع مشكوراً لما يسديه الى قومه من الخير والاحسان

﴿ الشيخ محمد كامل الرافعي ﴾ من اماثل الاسرة الرافعية الشهيرة في طرابلس الشام . فيها ولد نحو السنة ١٨٥٤ وفيها توفي في اواخر السنة ١٩١٧ اخذ العلوم الدينية والعقلية عن علماء ملته واشتغل بآداب اللغة والتدريس حيناً ثم باعمال الحكومة مدة طويلة وعرف الشيخ بحرية افكاره وحبه للحق ونصرته في وجه اصعاب

التقليد من امّته كالمولويّة والصوفيّة حتى عدّ ركناً من اركان النهضة الاسلاميّة الحديثة في طرابلس . وكان مع ذلك كثير الاهتمام بشيرته . وقد ذكر في مجلّة المنار (٢١ : ١٨) حبّ نبلاء المسيحيين له لما عرفوا من حرّيته وشجاعته وصدق وطنيّته وعدّد بين مزاياه ، وقوفهُ في وجوه الظَّلَمة الطغاة من كبار رجال الحكومة البائدة في عهد عبد الحميد ومن بعده بل واحسانهُ الى مواطنيه المسيحيين على اختلاف طبقاتهم بالتأمين والتطمين لهم ايّام الحرب العامّة كلّما همّ بهم شيطان من شياطين الحكومة او طرأ عليهم حادثٌ من حدثان يطرأ على الأُمّة .

﴿ جرجس بُسّول ﴾ كانت وفاتهُ يوم عيد شفيعهِ في ٢٣ نيسان ١٩١٧ . اصلهُ من حاصبيّا دخل في خدمة الامير بشير الشهابي فصار من جملة فرسانهِ فبلغ من العمر مئة سنة بنيّف . وكان راوية لتاريخ زمانهِ بدقّة عجيبة

﴿ جرجس مسعد ﴾ هو ابن نخله مسعد كان شابًّا حميد الصفات وحيدًا لابيهِ اختزمتهُ المنون في عزّ شبابهِ في ١٦ آذار ١٩١٨ وقد اسف عليهِ معارفهُ ولاسيّما رفقتهُ في المدرسة الذين وجدوا فيهِ خير مساعد في مدّة الحرب اذ اخنى عليهم الدهر . وقد توفي ابوهُ الفاضل في اوائل السنة الحاليّة (٥ ك ٢ ١٩٢٠)

﴿ اسكندر زياده ﴾ هو عميد عائلتهِ الكريمة ووجيه قومهِ رجل الدين والفضل والسياسة . ولد في جديدة غزير سنة ١٨٤٩ وتوفيَ في ٢٠ آب سنة ١٩١٨ اذ ظهرت اوّل لوائح خلاص الوطن بانتصار الحلفاء . تخرّج المرحوم في مدرسة عينطورا وتعاطى فنّ المحاماة فجمع في شخصهِ بين صفات الرجل التقيّ الصالح والرجل العمومي المحنّك بالفنون الشرعيّة وآداب الهيئة الاجتماعيّة . عُهدت اليهِ مديريّة ناحية الفتوح سنين طوالًا فألّف بين القلوب وربح شكر الجميع بحسن تدبيرهِ وذكاء عقلهِ وحصافة رأيهِ . ومن مميّزاتهِ عنايتهُ في صلاح اهل بيتهِ وتهذيب اولادهِ وخلوص مودّتهِ مع اصدقائهِ واعتصامهِ غير المنفصم بحبل الدين المتين

﴿ روزاريو بُسّول ﴾ خرج من كليّتنا قبل الحرب بزمن قليل فاحرز لهُ بسلوكهِ الحسن وطيب آدابهِ حبّ اقرانهِ وكثيرًا ما سمعنا رؤساء الدين يثنون على تقواهُ وقدوتهِ الصالحة . كان البحر الى مصر لعقد الزيجة فيها اذ قفلت الحرب دونهُ باب الرجوع الى مسقط رأسه فاغتنم هذه الفرصة ليخدم بني وطنهِ في مصر ماديًّا وادبيًّا

فشكروا لهُ كرمهُ . وكان روزاريو من اعضاء جمعيَّة مار منصور يرتاح الى كلّ اعمالها الخيريَّة . توفَّاه الله في ٢٣ ايلول ١٩١٨ .

﴿ ميشال بك سرسق ﴾ من وجوه طائفة الروم . كان تخرَّج في كليَّتنا . وعُرف بدماثة الاخلاق والمؤانسة وحبّ الادب . وقد اختارهُ النصارى البيروتيُّون قبل الحرب مبعوثاً عنهم الى ندوة الأمَّة في الاستانة . ولمَّا انتشب الحرب اختصَّهُ جمال باشا بصداقتهِ فانتهز الفرصة لجلب القمح من حوران واحتكارهِ ورَفع اسعارهِ فحرَّك ذلك في قلوب كثيرين الغضب عليهِ فنسبوا اليهِ قسماً من النكبات التي حلَّت ببيروت وجوارها . عاجلتهُ المنيَّة بعد الهدنة في شباط ١٩١٩

﴿ جبران فرح ﴾ هو جبران بن مسعود فرح الاروني اصلهُ من صفين . احد كبار التجَّار في الثغر وفي باريس مع اخوانهِ . اشتهر بصدق ايمانهِ وكثرة مبرَّاتهِ واحسانهِ الى الجمعيَّات الخيريَّة والى الفقراء والمساكين خصوصاً في ايَّام الحرب . وعُرف باستقامتهِ في المعاملة فربح ثقة جميع مواطنيهِ . توفي في شهر نيسان سنة ١٩١٩

﴿ يوحنَّا الدوَّر ﴾ هو ابن المرحوم خليل الدوَّر الذي تشرَّف منزلهُ في بيروت بضيافة كثيرين من كبار القوم كالبرنس دي جوانفيل والدوق دورليان . توفي في ٨ كـ٢ ١٩٢٠ فجأةً . كان يوحنَّا كأبيهِ رجلاً متحمِّساً في الدين ملازماً لفرائضهِ محبًّا للخير محسناً لمحو الفقراء بيد سخيَّة وكان في ايَّام الحرب يوزِّع كل يوم طحيناً على الفقراء فيلتجئ اليهِ المساكين والمستورون . وكانت تشبههُ في احساناتهِ اختهُ مادام هيلانه فرج الله ذات الصلاح والتُّقى . توفيت ايضاً في السنة ١٩١٩

وعارضت مدام هيلانة سيِّدة اخرى دعاها الله الى ملكوتهِ في وقت الحرب نزيد بها مدام منَّة نصرالله طرَّازي التي خدمت طائفتها السريانيَّة اجلّ الخدم بما قدَّمتهُ من الصدقات للكنائس لاسيَّما كنيسة السيِّدة في الشرفة وكنيسة بيروت التي كانت من اعظم الساعيات في تشييدها . وكانت جعلت بيتها مستزلاً للبطاركة والاساقفة وعموم الاكليروس السرياني . كانت وفاتها ايضاً مدَّة الحرب

﴿ شديد بك حبيش ﴾ هو فقيد الاسرة الحبيشيَّة والوطن الذي توفَّاهُ الله في ٥ آذار الاخير عن ٨٠ سنة بنيف . كان مولدهُ في قصبة غزير وفيها تلقَّى العلوم في مدرستنا في رفقة بعض مشاهير الرجال ديناً ودنيا نخصُّ منهم بالذكر غبطة البطريرك

الماروني الحالي والمثلث الرحمات المطران بطرس الزغبي رئيس اساقفة قبرس . ولم يزل شديد بك يترقّى في المناصب في خدمة الدولة العثمانيّة حتى صار ممثلاً لها في معظم عواصم اوربّة فانتهى الى باريس وقضى فيها عشر سنوات كقنصل عام لتركية . وقد نال في كلّ هذه المراتب ثقة دولته والدول التي تولى عندها مصالح بلاده بما ابداهُ حيثما حلّ من حسن التدبير وجزيل الهمّة ولطف المعاشرة وصدق الوفاء . شهدت على مقامهِ الاوسمة والامتيازات التي اصابها في كلّ مواطن مناصبهِ السامية . وقد بقي مع ذلك مواظباً لفرائض دينهِ ثابتاً على مبادئهِ القويمة الى آخر انفاس حياتهِ

وكان من الواجب ان نقدّم على هذا الباب ذكر اولئك ملائكة السلام وشهيدات الحب الصادق للقريب راهبات المحبّة وراهبات الناصرة والسجود والراهبات الالمانيّات وراهبات قلبي يسوع ومريم اللواتي تفانَيْن في مدّة الحرب في اسعاف كلّ المحتاجين من مرضى وايتام وفقراء في المستشفيات والمياتم والمآوى ومعامل الشغل . وقد بلغ بهنّ هذا الحب اقصى درجاتهِ حتّى توفّي منهن اكثر من خمسين راهبة عُدي معظمهنّ بامراض الذين كنّ يبذلنَ نفوسهنّ في خدمتهم على ان وصف اعمالهنّ يستدعي كتاباً مفرداً نتمنى ان يحرّرهُ قلم بعض ادبائنا فيخلّد ذكر تلك النفوس الشريفة

وكم ودّع الحياة من الذوات غير الذين ذكرناهم ولم نطّلع على اخبارهم كالمرحومين يوسف يارد (١٩١٨) وعبدالله غانم (آذار ١٩١٧) والقانوني سليم قشوع (٦ آب ١٩١٨) واسكندر مسك (٢٠ اذار ١٩١٨) ونخلة قاطي (٤ تموز ١٩١٧) وغيرهم امدّهم الله برحمته

٢ ضحايا الاتراك وشهداء حب الوطن

فخ نخله باشا المطران ابن من اسرة آل المطران الكريمة البعلبكيّة . كان درس في كليّتنا مع اخويه ندره بك واليأس . وعُرف مثلهما بحبّهِ لفرنسة فنُسبت اليهِ الخيانة للدولة التركيّة لمحاولتهِ إلحاق بعلبك بلبنان ووضعها تحت حماية فرنسة فبعد توقيفهِ وحبسهِ عُرض مشهوراً مهاناً بطريقة همجية في شوارع دمشق في ٦ ك ٢ سنة ١٩١٥ مع شتم النصارى وتهييج العامة عليهم . ثم أُبعد الى جهات حلب واورفا وقُتل هناك رمياً بالرصاص

﴿ يوسف بشاره الهاني ﴾ من وجوه الطائفة المارونيَّة في بيروت كان ترجماناً لقنصلاتو فرنسة في بيروت. وُجد اسمهُ معلقاً على عريضة قدَّمها بعض الاعيان لدولة فرنسة يطلبون منها التوسُّط لدى الحكومة العثمانية في شؤون السوريين واصلاح احوال النصارى . فعُدَّ عملهُ خيانة وحُكم عليهِ بالاعدام فأُنفذ فيهِ الحكم في ٥ نيسان ١٩١٥ بعد ان استمَّد بقبول الاسرار للوقوف أمام الديَّان وتبرَّأ من جرم الخيانة

﴿ الشمَّاس اناتول ميزره ﴾ كان هذا اكليريكيًّا فرنساويًّا قدم الى سوريَّة واتخذهُ سيادة المطران يوسف الدوماني كاتباً لاسراره فلمَّا دخلت تركيَّة في الحرب وأبعد الاجانب أعلم سيادتهُ متصرف طرابلس بامر الشمَّاس فاشار بابقائهِ عنده فبقي معتزلاً الى ان وشى بهِ بعض المهاجرين فأُرسل مخفوراً الى دمشق بعد ضبط اوراقهِ وفحص مضامينها فحُكم عليهِ بالاعدام في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ لكنهُ تبرَّأ قبل موته من جرم الجاسوسيَّة وصفح عن قاتليهِ

﴿ عبد الحميد الزهراوي ﴾ هو من سادة المسلمين ولد في حمص من اصل شريف سنة ١٨٧١ ثم درس في وطنهِ العلوم النقليَّة والعقليَّة وسافر الى الاستانة ومصر وعاد الى حمص وفي نيَّتهِ ان يخلِّص بلادهُ من جور الحكومة التركيَّة فنشر جريدة المنير سرًّا بطبعها على مسدَّة غروريَّة . فلم يلبث مأمورو الدولة ان عرفوا بها فأبطلوها . فرجع عبد الحميد ثانية الى الاستانة وحرَّر في جريدة المعلومات العربيَّة عدَّة مقالات ادبيَّة اصلاحيَّة اثارت غضب السلطان الخليع سميه فأُوقف بأمره ثمَّ أُرسل تحت المراقبة الى دمشق ولم يزل مدَّة معرَّضاً للتُّهم فيها وفي غيرها حتَّى فرَّ هارباً الى مصر فحرَّر في جريدة المؤيد . ثمَّ في «الجريدة» لسان حال حزب الأمَّة ولمَّا أُعلن بالدستور العثماني وقع عليهِ الاختيار من اهالي حمص لمجلس الاعيان . فقام بالدفاع عن مصالح وطنهِ بازاء جمعية الاتحاد والترقي حتَّى تمكَّن جمال باشا من الانتقام منهُ فأُوقف في اوائل الحرب وحُكم عليهِ بالاعدام بتهمة تأسيسهِ للمنتدى الادبي واشتراكهِ بمؤتمر باريس العربيّ سنة ١٩١١ الطالب باللامركزيَّة وحضر هذا المؤتمر قومٌ من نصارى ومسلمي الشام من جملتهم بعض الذين حُكم عليهم بالاعدام كالشيخ احمد حسن طيَّاره صاحب جريدة الاصلاح في بيروت وعبد الغني العريسي صاحب جريدة المفيد فيها وعبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي المتخرج في المدرسة الملكيَّة

ومدرسة الحتوني في الاستانة ومحمّد المحمصاني من وجهاء بيروت . فهؤلاء نفذ فيهم حكم الاعدام في ٦ ايّار ١٩١٦ وقُتل في دمشق مع الشيخ الزهراوي شفيق بك المؤيد والامير عمر حفيد الامير عبدالقادر الجزائري وشكري بك العسلي احد اعضاء مجلس المبعوثان وعبد الوهاب المليجي (الانكليزي) ورشدي الشمعة ورفيق رزق سلوم الشاعر والخطيب الحمصي . وقُتل في بيروت مع الشيخ طيّاره والعريسي عُمَر بن مصطفى حمّد ومحمّد حسين الشنطي وعارف الشهابي وتوفيق البساط وسيف الدين الخطيب وسعيد عقل وباترو باولي وجرجي الحداد وسليم محمّد الجزائري وعلي حاجي عمر والضابطان امين لطفي وجلال البخاري . كلّهم لجنوحهم الى الاستقلال وطلبهم اللامركزيّة . ومعظمهم من البيوتات الكريمة او نوابغ الكتّاب ساروا الى الموت برباطة جأش لاعنين ظالم الاتراك وداعين لخلاص الوطن

وكان سبقهم الى الابديّة في بيروت شنقاً في ٢١ آب مع محمّد المحمصاني اخوهُ محمود وعبد الكريم الخليل وصالح بك حيدر وعبد القادر خرسا ونور الدين القاضي وعلي الارمنازي وسليم عبد الهادي ومحمود العجم ونائف تلّو ومسلم عابدين

﴿ الاخوان انطون وتوفيق زريق ﴾ اصلهما من طرابلس الشام من طائفة الروم الاورثدكس وتخرّجا في الكليّة الاميركانيّة . ثمّ هاجر انطون الى اميركا واشتغل بالصحافة قدعا مواطنيهِ الى طلب الاستقلال . ثمّ رجع الى الوطن اذ أُعلن بالحرب العامّة فقُبض عليهِ وعلى اخيهِ بتهمة الفرار من العسكريّة وقُتلا معاً في المزّة بقرب الشام في ١٤ ايلول ١٩١٦

﴿ عبدالله ظاهر ﴾ كان هذا شيخاً على القبيّات في جهات عكّار وكان محبّاً للسلام يخدم وطنهُ بغيرة . فوشى بهِ البعض الى جمال باشا الجبّه لفرنسة فارسل يستدعيهِ الى بيروت مخفوراً حيث حُكم عليهِ بالشنق فقُتل في ٢٠ نيسان ١٩١٧

﴿ الشيخان فيليب وفريد الخازن ﴾ لم يأسف ما أسفنا على احد في إبّان الحرب أسفنا على ذينك الشقيقين بل الدرّتين الثمينتين فرعي اسرة الكرام ورضيعي افاويق الآداب الشيخين فيليب وفريد الخازن . اللذين طلما كفرقدين في سماء لبنان فشرّفا مسقط رأسهما العزيز بتقاهما وتعمّقهما في الدين وسعة معارفهما ودفاعهما عن امتيازات وطنهما ضمن القانون وعرفانهما الجميل نحو فرنسة التي قلّدت جدودهما الرتب

الشريفة . امر بقتلها جمال باشا ظلماً دون ان يثبت عليها جنايةً كما فعل بغيرهما ممَّن حكم باعدامهم . وانَّما كان موتهما ابهى من حياتهما استعدَّا لهُ استعداد الابرار بالرياضة والصلاة والقراءة الروحيَّة والتقرُّب من الاسرار المقدسة فسارا الى ساعتهما الاخيرة سير الشهداء الذين يرون في الموت النجاة من بلايا الارض والفوز باكليل الظفر . تمَّ ذاك المشهد الخطير صباح اليوم السادس من حزيران ١٩١٦ . ولد فيليب سنة ١٨٦٥ وفريد سنة ١٨٦٦ . وتلقَّى الاول دروسهُ في مدرسة الآباء اليسوعيين وفي غيرها من مدارس لبنان وتمنَّق في درس العربيَّة والشريعة على الطيِّب الآثار المطران يوحنَّا حبيب . وانهى الثاني دروسهُ في كليَّة الآباء اليسوعيين في بيروت . وقد انشأ كلاهما جريدة الارز في جونيه سنة ١٨٩٥ فاشتهرت بروحها الطيِّب ومبادئها الحرَّة الصادقة . وقد خلَّفا ايضاً آثاراً علميَّة وادبيَّة سنذكرها ان شاء الله مع ترجمتهما المطوَّلة في فرصة اخرى . وفي السنة ١٩١٤ ابعدت الحكومة التركيَّة الشيخ فيليب الى حلب ثمَّ الى الشام فرافقهُ اخوهُ مختاراً وفي ٢٥ آذار ١٩١٦ استدعي الاثنان الى عاليه فأودعا السجن فزادت تلك النكبة تعلُّقهما ببعضهما فعاشا متحدين وماتا متعانقين

﴿ توفيق عبدالله بدوي ﴾ من وجوه دمشق الشام . ولد فيها سنة ١٨٨٢ وتلقَّى علومهُ في مدرسة عين طورا الشهيرة . تعاطى التجارة فاشتهر بنشاطهِ وامانته فاختارتهُ دولة فرنسة العظمى كترجمان لقنصليَّتها في الفيحاء فقام بمهمَّته القيام المشكور . وقد عُرف توفيق افندي بحُسن سيرتهِ وكرم نفسهِ وآدابهِ . ولمَّا انتشبت الحرب العموميَّة ابعدتهُ الدولة العثمانيَّة الى بلاد الاناضول التركيَّة حيث ذهب شهيد تعلُّقهِ بفرنسة في دار الغربة فتوفي في ريعان الشباب في ٢٢ ايَّار ١٩١٨

﴿ حبيب دوناتو ﴾ هو حبيب بن يوسف دوناتو كان ايضاً من تراجمة قنصليَّة فرنسة في دمشق ذا همَّة وإقدام . أبعد كذلك في اوائل الحرب العموميَّة منفيًّا الى ولاية انقرة . توفيَّ في ٥ نيسان ١٩١٨ في قلعة جك وقيل انهُ قُتل مع غيرهِ وهو راجع الى دمشق اذ سقط النفق على عربات قطار السكك الحديديَّة . وكان حبيب من الطائفة اللاتينيَّة خفيف الدين فانتظم في سلك الشيعة الماسونيَّة لكنَّ المنفى كما يظهر انار عقلهُ . وقد كتب وصيَّته الاخيرة في مدينة آطه وفيها يجاهر بايمانهِ مصرِّحاً بانهُ

يريد ان يموت في حضن الكنيسة الكاثوليكيَّة . وقد اوصى بقسم من مالهِ للفقراء ولاعمال البرّ (لا بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

منشور بطريركي

الى جميع ابناء الطائفة الرومية الملكيَّة الكاثوليكيَّة

طبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠

كلّ يعلم ما يستتبع غالباً تداخل الشعب في الانتخابات الاسقفية من السجن والفتن فاحبّ غبطة السيّد ديمتريوس القاضي بطريرك الطائفة الروميَّة الملكيَّة الكاثوليكيَّة ان يتلافى هذا الخلل بمنشور خاصّ مملوّ حكمةً وغيرةً على صوالح الكنيسة والرعايا معاً وقد اودعهُ من الدلائل العقليَّة والشواهد النقليَّة ما من شأنهِ ان يُقنع كلّ من لا تعميهِ الاغراض الشخصيَّة ولا يفضّل المنافع الخاصَّة على الخير العامّ . فنشير الى الجميع ان يطالعوهُ في جريدة البشير ويمعنوا النظر في حقائقهِ

تاريخ العصر الدموي

تأليف ناصيف بك ابي زيد السوري اللبناني

طُبع في دمشق في مطبعة الفنيد سنة ١٩١٩ (ص ٤٧٢)

ظنّ جمال باشا ورفقاؤهُ الاتراك انهم يستطيعون بالسيف قطع لسان التاريخ عن رواية فظائعهم فساء ظنّهم ولو سكت القلم لنطقت الحجارة . ومن افضل ما كُتب في ما ألمَّ بسوريَّة من الكوارث والفواجع في اثناء الحرب العامَّة الكتاب المعنون بتاريخ العصر الدموي . وقد طابق الاسم المسمّى فانّ الدماء جرت سيولاً في تلك المدَّة منها في ساحات حرب كانت تركيَّة عنها في غنًى لو بقيت في الحياد عن الدول المتحاربة . ومنها بالحكم الجائر الذي ابداهُ الاتراك باعدام كثيرين من كرام

الناس ونخبة الكتبة . وكم امتزج بهذه الدماء من الدموع السخينة المهرقة من عيون الوفر من الاهلين بسبب نفيهم عن الوطن وتمريضهم للمجاعة وللامراض الوبيئة . فكلّ هذه المشاهد المؤثرة قد وصفها مؤلف هذا الكتاب كشاهد عياني نالهُ قسمٌ من ويلاتها . فلا شكّ انّ كتابهُ سيبقى كبرهان حيّ على همجيّة قوم لم يزالوا منذ حلولهم في انحاء الشام يسومون اهلها خسفاً وهواناً ل . ش

مصباح الحقائق

الخوري يوسف داغر التنوري

طبع في المطبعة اللبنانيّة في بيروت سنة ١٩٢٠ ص٣٣٣

هذا كتابٌ ثانٍ اتحفنا بهِ حضرة مؤلفهِ جعلهُ تتمّة لتأليفهِ السابق البرهان الصريح في الدين الصحيح (المشرق ٢٠ : ٧١) وهو ليس دونهُ شأناً وفائدةً . فانهُ شرح موسّع للتعليم المسيحيّ اوضح فيهِ المؤلف الفاضل بكلام مسهب وطريقة خطابية وامثال وقصص لطيفة كلّ الحقائق الاعتقاديّة ووصايا الله وكنيستهِ واسرار البيعة فجاء افضل كتاب من جنسهِ للمعلّمين والمعلّمات وكلّ من عُهد اليهِ ايضاح التعليم الديني . ولا يدع انّ كتاباً مثل هذا يقتضيهِ مراجعات عديدة لتحسينهِ وزيادة ضبطهِ كما ايضاً في حسن طبعهِ وتجريدهِ من الاغلاط الطبعيّة . وممّا نستلفت اليهِ نظر المؤلف تطبيق بعض القضايا مع عادات الكنائس الشرقيّة ومراجعة الحقّ القانونيّ الجديد للوقوف على تحديداتهِ في الصوم وتناول القربان المقدّس ومناولة المرضى والتناول الفصحيّ خارجاً عن الكنيسة الرعائيّة . وممّا يقتضيهِ بعض التحوير قولهُ (ص ١٠٠ — ١٠١) ان السيّد المسيح « سيعود ليدين الاحياء الباقين يومئذٍ في قيد الحياة ويحاكمهم وبعد ذلك يموتون ثمّ يُبعثون . . . » فانّهُ لا يطابق رأي معظم اللاهوتيين . وهناك بضعة امور تحتاج الى زيادة ايضاح او تدقيق او ازالة شبهات كتعريف الغفران (ص٣١٥) وشرح مفاعيل الندامة الكاملة (٢٩٨) وسرّ مسحة المرضى (٣١٦) وسرّ الثالوث (٣٢) والاستحالة (٢٧٥) والخلاص خارجاً عن الكنيسة (١١٣) . وغير ذلك بحيث يصبح هذا الكتاب دستوراً صادقاً ومرجعاً اميناً لكلّ من يتولّى تفسير التعليم المسيحي ل . ش

كتاب العفاف

الى الشبيبة والناشئة المسيحيّة . عرّبهُ الخوري بطرس ابو زيد ب م

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠ (ص ٢٧ + ٢٦٣)

كان المرحوم الاب رينيه غيتون من كهنة كاتدرائيتنا وضع باللغة الفرنساويّة سفرًا جليلًا في العفاف اودعهُ خلاصة ما استفادهُ من معلمي السيرة الروحيّة وافاضل الاطبّاء في هذا الصدد واضاف اليه ما اوقفهُ عليهِ اختبارهُ الطويل في ارشاد الشبيبة . فاستحسن تأليفهُ عموم المطّلعين على مضامينهِ وسموا بنشرهِ بين الشبّان والمرشدين الروحيين ورؤساء المدارس ليجعلوهُ سياجًا لبرارة الناشئة المسيحيّة بازاء اهواء العصر الفاسدة . وكنّا نتمنّى ان ينقلهُ الى لغتنا العربيّة بعض افاضل الكتبة قبل الى تحقيق هذه الامنيّة حضرة الخوري بطرس ابو زيد الباسيليّ المخلّصي فاخرجهُ على صورة لطيفة مراعياً فيهِ امانة الاصل مع حسن التعريب . فنثني على همّتهِ اطيب الثناء ونحضُّ كلَّ من تهمُّهم آداب الشبيبة من ارباب العيال المسيحيّة والكهنة ومحبّي خير الوطن ورقيّه على مطالعة هذا الكتاب ونشرهِ لجزيل فوائدهِ

DIE GLIEDERUNG DER AUSTRALISCHEN SPRACHEN von P. M. Shcmidt. S. V. D., Wien, 1910, pp. XVI-209

تركيب اللغات الاوستراليّة

في قارّة اوستراليا الواسعة التي اصبحت بفضل الاوربيين والاميركيين من ارقى البلاد تمدُّنًا عدّة قبائل قديمة وطنيّة تسرح في البراري وتعيش من الصيد ورعية المواشي . فلهذه العناصر الاهليّة لغات جمّة تعدّدت في وصفها كتابات اللغويين لكنَّ كثيرًا من اسرارها لا تزال مجهولة . فلكشف هذه الغوامض قد وضع حضرة الاب شميت مدير مجلّة انثروبوس الشهيرة في ثنيّة هذا الكتاب النفيس . وذلك انهُ اتّصل بعد الدروس الطويلة في لغات شمالي البلاد وجنوبها وغربها وشرقها الى ان يدرك كنه تلك اللغات ويعرف خواصّها وما يوجد من العلاقات بينها اوّلًا ثمَّ بين لغات قبائل اخرى خارجًا عن اوستراليا في جزائر اوقيانية وغيرها فدوّن كل ملحوظاتهِ في هذا السفر الواسع الرحب الدالّ على صبر عجيب في مؤلفهِ فضلًا عمَّا اقتضاه من المعارف

الجنّة . وقد سهّل حضرتهُ بذلك للباحثين عن اصول اللغات المقابلة بين ألسنة الشعوب والاطلاع على حلقات تسلسلها لعلّهم بذلك يقفون على اللغات الاوّليّة . فنشكر الاب شميت همّتهُ ونترجّى لكتابهِ رواجاً ل. ش

انتشار الامراض وقصر الحياة

للفسيولوجي اسكندر زخور

طُبع في المطبعة اللبنانيّة في بيروت ١٩٢٠ (ص ٣٧)

قال احد اساطين الطبّ انّ البطنة وشهوة الطعام المفرطة قد قتلت من البشر اكثر من الحروب . وقد قام في زماننا بين الحكماء وانصار الصحّة العموميّة قوم ممّن بينوا فضل الحِمْيَة واطرأوا الكنيسة لوصايها بالاصوام والانقطاعات ورأوا في عملها اقرب وسيلة لحفظ الصحّة ودفع الامراض المتولّدة من الحرص الزائد على الطعام . وممّن تولّى بيان هذه الحقيقة جناب الفسيولوجي اسكندر زُخور فنشر في ذلك عدّة مقالات جمعها في هذا الكرّاس ومنها يلوح انّ الاقتصاد في المآكل واتّخاذ الوسائل الهيجنيّة القريبة المنال كالرياضة والاستحمام واستنشاق الهواء النظيف لممّا يقوم في وجه معظم الامراض ويطيل الحياة

انجلاء الاسرار المكنونة

في بيان الدلائل التي تنبئ بدنو يوم الدينونة

للخوري بطرس القزح . طُبع في بيروت في المطبعة الطميّة سنة ١٩١٠ (ص ١١٠)

متى يأتي يوم الدينونة ؟ تلك مسألة خطيرة حاول كشفَ اسرارها اركانُ الدين وجلّة العلماء وذلك منذ اوائل النصرانيّة كما يؤخذ من بعض آثار الرسل والآباء الاوّلين . وممّن انذروا في القرون المتأخرة بدنوّ يوم الدينونة احد كبار المبشّرين القديس منصور فاريه واثبت قولهُ بالعجائب وردَّ بإنذاره عدداً لا يُحصى من الخطأة الى التوبة . ولمّا انتشبت الحرب العموميّة سألنا كثيرون لمّا احسّوا بويلاتها أليست هذه دلائل على قرب وقوع الساعة . فكان جوابنا الله اعلم . على انّ حضرة الخوري بطرس القزح من دير الاحمر يرى في هذه البلايا التي لا تزال تكتنفنا

علامات دالّة على اقتراب الزمان اخصّها كثير من آيات الكتاب المقدّس التي تحتمل هذا التأويل ولم يقطع بها المفسّرون . على كلّ حال لا بأس ان يسهر الناس ويصلّوا فيكونوا في كلّ الاوان مستعدين ليلاقوا الديّان ان لم يكن في الدينونة الاخيرة فعلى الاقلّ في الدينونة الخاصّة في ختام حياة كلّ انسان وهي قريبة بلا شك ل . ش

شذرات

التعليم العالي باللغة العربيّة كان ألقى صاحب الهلال سؤالاً عرضهُ على حضرة الاب هنري لامنس في مناسبة تعليم العلوم العالية باللغة العربيّة فكان جوابهُ على غير طريقة رسميّة مرتاباً في موافقة تعليم هذه العلوم باللغة العربيّة « لئلّا تنزل البلاد شيئاً فشيئاً عن الحركة العامّة اذ تصبح اللغة الوطنيّة حاجزاً منيعاً دون مواصلة التقدّم »

فرأى الكاتب الاديب فليكس فارس في هذا الجواب بخساً باللغة العربيّة وحاول الردّ عليهِ بمقالة نشرها في مجلّة بيت لحم في عدد آذار الاخير . على انّنا رأينا ردّهُ في غير موقعهِ وذلك لاسباب تضطرّنا الى تأييد قول الاب لامنس بوجيز الكلام :

١ انّ تعليم العلوم العصريّة كالطبيعيّات والكيميا والهيئة والنبات وطبقات الارض والآثار القديمة فيها وكثير غيرها تستدعي تعريب عدد عديد من الكتب الاوربيّة ومهما تمدّد المعرّبون تخور قواهم دون تعريبها بعد مدّة طويلة . ٢ انّ التعريب الحسن يقتضيه معرفة تامّة بالاصول العربية مع معرفة بليغة باللغة التي تُنقَل اليها تلك المعرّبات وقلّما نجد من يُتقن معرفة اللغتين تماماً . ٣ يطلب التعريب وجود الوف وربوات من الالفاظ الاصطلاحيّة المعوّل عليها بين العلماء لنقل ما يوافقها في اللغات الاوربيّة . وهذه الاصطلاحات او ناقصة في العربيّة او غير مقرّرة لعدم وجودها في معجم عربيّ . ٤ ليس في البلاد العربيّة جمعيّة علميّة (اكادمية) توجب باستعمال هذه الاصطلاحات وتحدّد معانيها ولذلك ترى كلّ معرّب ينقل المفردات العلميّة كما يعنّ لهُ دون ان يبالي بتعريب غيرهِ فتتعدّد المسمّيات لاسم واحد دون جدوى .

٥ وهب انَّ المعرّبين يستوفون كل شروط التعريب فاين الحكومة التي تتعهّد بنشرها على حسابها وتوجب التعليم بها . ٦ ولو افترض هذا التعليم الالزاميّ فانَّ تلك الكتب لا ينفد طبعها وتصريفها الّا بعد سنين طويلة والعلوم في تلك الاثناء تكون تقدّمت كلّ يوم فيعتق الكتاب ويبقى الدارس محروماً من المكتشفات الجديدة . كما جرى للتعريبات العلميّة في مصر وفي الكليّة الاميركانيّة في بيروت فاضطرّ روّساؤها الى اهمال التدريس بالعربيّة وعادوا الى الافرنسيّة او الى الانكليزيّة ٧ وقد اضاف حضرة الاب لامنس سبباً آخر غاية في الصواب . اذا صار تعليم العلوم بالعربيّة وأُهملت اللغات الاوربيّة انقطعت عن ابناء العرب مناهل العلوم الحيّة التي تنعش بها اوربّة كلّ يوم ارواح المتواردين اليها وتنير اذهانهم بساطع انوارها فيبقى العرب محبوسين في نطاق ضيّق ودائرة حرجة ليس لديهم سوى ما يلفهم بالتعريب . نقول ذلك اقراراً بالحق لا لنبخس العربية حقها وكلٌّ يعلم سعينا في ترقيها

﴿ تمّة الهلال على طوابع بريد الشام ﴾ وقع في يدنا طرودات ومكاتيب من الشام عليها طوابع بريد مضافاً اليها تمة الهلال التركيّ فاخذنا العجب من العود اليه . وقد سبق لنا في المشرق (١٧ : ٦٤٠) انَّ اصل الهلال التركي شعار مدينة القسطنطينيّة قبل تجديدها على يد قسطنطين الكبير اذ كانت مدينةً وثنيّة تُعرف باسم بوزنطيوم . فكان لهذه المدينة هيكل لعبادة الإلهة هيرا (Hpa) زوجة المشتري وكانوا يمثلونها والهلال على رأسها ليس فقط اشارة الى القمر وهلاله بل ايضاً تلميحاً الى البقرة وقرنيها لأن الالهة هيرا كانت تمثّل ايضاً على صورة بقرة مقرّنة . وكان البوزنطيّون تنويهاً باكرامهم لها ضربوا الهلال على مسكوكاتهم وفي وسط الهلال نجمة مسدّسة الزوايا مع اسم مدينة بوزنطية . وقد اكرموا كذلك الإلهة ارطاميس (ومنها طاميش في لبنان) او ديانا على هذه الصورة وكانت ايضاً من معبوداتهم الجليلة

﴿ مار افرام ملفان الكنيسة ﴾ سرّنا الخبر الوارد من رومية انَّ غبطة السيّد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني بطريرك السريان قد نال من نعم الكرسيّ الرسولي بان يكرم القديس افرام السرياني في سائر الكنيسة الكاثوليكيّة بصفة ملفان فتُقام له رتبة خاصّة كأحد كبار آباء الكنيسة ومعلّميها

﴿ ترقّي الكثلكة في ايّام الحرب وبعده ﴾ قلنا سابقاً انَّ الحرب

العمومية مع كونها نقمةً هي ايضاً نعمة . ومن جملة نعمها نموّ كنيسة الله وارتداد غير المؤمنين اليها . فمن ذلك ما ورد من افادات المرسلين في هذه المدّات الاخيرة في الكونغو واوغندا وغيناي انّ المرتدّين من الشرك الى الايمان في نموّ متواصل . وقد بلغ بعض الوطنيين في اوغندا والغابون الى سرّ الكهنوت فكان ارتقاؤهم الى هذه الدرجة باعثاً جديداً لارتداد مواطنيهم . ومن اخبار زيلندة الجديدة انّ عدد الكاثوليك بلغ الى عشرين الفاً ولم يكن قبل اعوام قليلة بالغاً بضع المئات . ومن فوائد الحرب انّ كثيرين من جنود المستعمرات الافريقيّة والاسيويّة باختلاطهم مع الجنود الكاثوليك اكتحلوا بنور الايمان وطلبوا العماد فتعمّدوا في امكنة شتّى . ومما افاده احد خدمة الجنود الانكليزيّة انّ ثلاثين الفاً منهم كانوا بروتستانت فانحازوا الى الكنيسة الكاثوليكيّة . واهمّ من ذلك ارتداد الاسقف الانغليكاني يوسف فردريك كِنْمان من علماء كنيسته الذي جحد التعاليم البروتستانيّة بين ايدي الكردينال جِبُونس في ٢٥ ت٢ الاخير . وكذلك جحد البدعة الجنْسِنيّانيّة المطران برك قبلهُ في الكنيسة رئيس اساقفة نيورك وينتظر قريباً رجوع رعيّته معهُ . وممّن رجع من الذوات في الصين وزيرا خارجيّتها اللذان تناوبا في خدمة وطنهما الاوّل لوتنْغ زيانغ والثاني مالينغ الذي كان سابقاً رئيس مجلس المندوبين في نانكين . وقد لعب كلاهما دوراً مهمّاً في تاريخ الصين الاخير وكانا من اعضاء اللجنة المنشأة لتدوين الدستور الجديد . وكذلك سفير اليابان الى فرنسة المسيو مونتاو ارتدّ بعد زيارته لسيدة لورد . ولم يُحرَم بعض المسلمين من هذه النعمة في العراق ومصر

خبز التبن . من امثال العرب انّ الضرورة تفتق الحيلة . ومن المعلوم انّ الحرب الطاحنة التي عايناها اهوالها آخراً كانت حرمت المانيا من الغلّات حتى خيف على اهلها من المجاعة . فجعل العلماء الالمان يختبرون الموادّ الغذائيّة التي تقوم مقام الخبز وممّا اكتشفهُ احدهم الدكتور فريدنتال (H. Friedenthal) انّ في التبن موادّ كثيرة تصلح للتغذية ويمكن استخراجها من قشرها كالنشا والسكّر والمادّة الزلاليّة والدكسترين والحوامض النباتيّة فاستخلص هذه المواد من التبن واصلحها بالطبخ واتّخذ منها اصنافاً اقبل الآكلون على الاقتيات بها فوجدوها دسمةً لذيذة الطعم . هذا ما كتبوهُ وقت الحرب ولعلّه من اكاذيبهم المألوفة

أسئلة وأجوبة

س سأل من غوسطا حضرة الخوري يوسف مراد ما هو اصل تشبيه البتول العذراء مريم بارزة لبنان ومَنْ من الآباء شبّهها بالارز ومتى دخل في طلبتها الدعاء « يا ارزة لبنان »

مريم العذراء ارزة لبنان

ج اصل تشبيه مريم العذراء بارز لبنان ما ورد في سفر ابن سيراخ (٢٤ : ١٧) عن الحكمة الالهيّة المرموز بها الى العذراء : « قد ارتفعتُ كالارز في لبنان » . وقد اثبتت الكنيسة ذلك في فرض عيد السيّدة الذي يُتلى في الطقس اللاتيني . وهكذا ورد ايضاً في كُتب الآباء كالقديس يوحنّا فم الذهب والقديس افرام والقديس برنردس وهم يشبّهون العذراء بالارز في رفعتها وخلوّها من فساد الخطيئة الاصليّة وطيب رائحة فضائلها . اما الدعاء « يا ارزة لبنان » في طلبتها فشاع بفضل المرسلين اللاتينيين لمّا نشروا في سورية بالعربيّة تلك الطلبة في اواسط القرن السابع عشر كما ورد في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة . وقد وجدنا هذه الطلبة مطبوعة في رومية في ذلك الوقت دون ذكر ارزة لبنان

س وسأل احد الاساتذة من هم الصقالبة واين موقع بلادهم وما هي لغتهم

الصقالبة وبلادهم ولغتهم

ج الصقالبة جيل كبير من الامم يسكنون في اواسط اوربّة وشرقيّها وفي شمالي آسية من حدود بلاد البندقيّة الى ما وراء جبال اورال يبلغ عددهم على ١٤٠،٠٠٠،٠٠٠ منهم الروسيّون والبولونيّون والسرب والكروات والبوهيميّون والبلغار واهل جبل الاسود والبشناق ولغاتهم مع تعدّد لهجاتها تعود الى جذر كبير يتّصل باللغات الهندوجرمانيّة . وهو ينقسم الى فرعين اللغة الصقليّة الجنوبيّة الشرقيّة والصقليّة الغربيّة . ومن هذه اللغات ما يُكتَب بالحرف اليوناني القديم مع بعض الحروف الخاصّة كاللغة الروسيّة واللغة البلغاريّة ومنها ما يُكتَب بالحرف اللاتيني كاللغة البولونيّة . وكذلك تختلف اديانهم ومعظمهم نصارى بينهم تبعة الكنيسة البوزنطيّة مع استقلالهم النظامي الديني كالروس والبلغار . ومنهم كاثوليك كالبولونيين وقسم كبير من البوهيميين والكروات وغيرهم في كل العناصر الصقليّة ل . ش